وائل لطفي

دعاة عصر السادات

دار العين للنشر

• كيف تمّت صناعة التشدد في مصر •

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

دعاة عصر السادات

كيف تمت صناعة التشدد في مصر

وائل لطفي

عن الكتاب..

ماذا كان يمكن ان يكون شكل الحياة في مصر لو لم يتخذ الرئيس السادات قراره بإعادة احياء جماعة الاخوان المسلمين؟ وما هو تأثير الدعاة الشعبيين المنتمين لأفكار الجماعة في نشر افكارها لدي المواطن العادي؟ محاولة الاجابة على هذين السؤالين هي محور هذا الكتاب الذي رحلت فيه إلى السبعينات محاولا تفهم ورصد الظروف التي اتخذ فيها الرئيس السادات قراره بإحياء جماعة الاخوان وتأسيس الجماعات الدينية في جامعات مصر المختلفة وتأثير ذلك على المشهد الديني والسياسي في نهاية السبعينات والتي انتهت بالنهاية المأسوية للرئيس السادات، حين تم اغتياله على يد منتمين للحركة الإسلامية التي كان هو من أطلقها ورعاها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداءٌ خاص

إلى ميرفت دهان (حارسة الأحلام)

وإلى حلم وائل لطفي (عمري الباقي)

وإلى أمي نادية علي علي (ناظرة المدرسة ومربية الرجال..)

بكم جميعًا أنا موجود..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة..

ماذا كان يمكن أن يكون شكل الحياة في مصر، لو لم يتخذ الرئيس السادات قراره بإعادة إحياء جماعة الإخوان المسلمين؟ وما تأثير الدعاة الشعبيين المنتمين لأفكار الجماعة في نشر أفكارها لدى المواطن العادي؟ محاولة الإجابة عن هذين السؤالين هي محور هذا الكتاب، الذي رحلت فيه إلى السبعينيات، محاولا تفهم ورصد الظروف التي اتخذ فيها الرئيس السادات قراره، بإحياء جماعة الإخوان المسلمين، وتأسيس الجماعات الدينية في جامعات مصر المختلفة، وتأثير ذلك على المشهد الديني والسياسي في نهاية السبعينيات، التي انتهت بالنهاية المأسوية للرئيس السادات، حين تم اغتياله على يد منتمين للحركة الإسلامية التي كان هو من أطلقها ورعاها.

بعد هذا الفصل التأسيسي ينطلق الكتاب ليدرس دعاة السبعينيات الذين أعادوا صياغة وعي الشعب المصري تجاه مختلف القضايا، وامتد تأثيرهم حتى اللحظة الراهنة، لقد كان هؤلاء هم الرعيل الاول للدعاة الجماهيريين الذين عرفتهم مصر في الألفية الثانية، وعرفوا باسم (الدعاة الجدد).. لقد كانت كلمة السر التي حولتهم إلى دعاة مؤثرين هي وسائل الإعلام الحديثة، فلولا التليفزيون لما كان للشيخ محمد متولي الشعراوي كل هذا الذيوع والتأثير، ولولا اختراع الكاسيت، لما أمكن لخطب الشيخ الساخر عبد الحميد كشك أن تطوف الوطن العربي كله من المحيط إلى الخليج وأن تبقى حية حتى اليوم.

يقارن الكتاب بين ظهور الشيخ الشعراوي وبين ظهور الواعظ الأمريكي الشهير (بيلي جراهام) ويرصد الدور الذي لعبه الإعلام في مساندة كليهما، كما يرصد دور كل منهما في محاربة الأفكار الشيوعية في بلده.. كما يدرس مواقف الشيخ المختلفة وتقاطعاته مع أفكار الإخوان المسلمين.

يرصد الكتاب أيضا الدور الذي لعبة الدعاة المنتمون لجماعة الإخوان المسلمين مثل محمد الغزالي والسيد سابق في دعم انتشار الإخوان في السبعينيات..، وكيف عاد الغزالي مرة أخرى إلى أحضان الجماعة بعد أن فارقها في بداية الخمسينيات، منحازا لثورة يوليو وممثلا لجناحها الديني... يرصد الكتاب أيضا حياة تتسم بالغموض للداعية إبراهيم عزت.. الذي خرج من الإخوان المسلمين ليؤسس جماعة التبليغ والدعوة في مصر، ويتماس مع تنظيم الجهاد الذي اغتال أعضاؤه الرئيس السادات.. مما يؤدي في النهاية لمنعه من الخطابة ثم وفاته بصورة مفاجئة وغامضة.. يدرس الكتاب أيضا تأثير شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، الذي لعب دورا سياسيا مباشرا في إحياء التيار الإسلامي والتصدي للشيوعية وتقاطع مع جماعة الإخوان في

الكثير من المواقف.. ولا يفوتني في النهاية أن أتوقف أمام الشيخ المحلاوي.. الداعية الذي دخل التاريخ عندما فقد الرئيس السادات أعصابه ووصفه بـ(الكلب) في خطاب رسمي القاه فيل اغتياله بشهر واحد.. متسائلا عن القوة التي كان يحظى بها المحلاوي، التي دفعته لتحدي الرئيس السادات والقرارات الرسمية بإيقافه أكثر من مرة.. مما دفع الأجهزة الرسمية في النهاية لاتخاذ قرار باعتقاله.. ولعل الأهم من تلك التفاصيل المتعلقة بكل داعية من دعاة عصر السادات، ذلك التأثير الذي تركه كل منهم في وعي المصريين، حيث كانوا بداية عملية متصلة من التديين للمجتمع المصري، أدت في النهاية لوصول جماعة الإخوان إلى قمة السلطة في مصر، ثم إزاحتها من خلال ثورة 30 يونيو، التي يمكن القول إنها بدأت مرحلة جديدة من السياسات الدينية لم تتضح كامل ملامحها بعد.. (دعاة عصر السادات).. هو رحلة مثيرة للبحث في الجذور.. تحاول الإجابة عن السؤال: كيف ولماذا وصلنا إلى ما وصلنا إليه؟ وأرجو أن أكون قد وفقت في الإجابة.

وائل لطفي

القاهرة

2020-9-28

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الأول

حدث في السبعينيات

لا يمكننا أن نفهم ما جرى في السبعينيات والثمانينيات أيضا دون العودة إلى الجذور القريبة، والجذور القريبة هنا؛ هي ما حدث بعد كل من نكسة يونيه 1967، ووفاة الرئيس عبد الناصر 1970.

سنجد أننا إزاء وجهتي نظر تتقاسمان فهم وتفسير ما جرى في مصر، ولمصر، وجهة نظر ترى أن الدولة المصرية اتجهت يمينا، كأثر مباشر لنكسة يونيو، ومن ثم فإن فتح الأبواب للإسلاميين لم يكن قرار السادات بنسبة مائة في المائة، ووجهه نظر أخرى ترى أن السادات يتحمل مسئولية ما جرى بشكل كامل، وأنه دفع نتيجة اختياره في النهاية.

في كتابه (السادات) يتعرض روبير سوليه(1) لما ذكره (جان نويل فيربيه(2)) الذي يرى أن نكسة 1967 كان من نتائجها انهيار الحلم القومي ليحل محله مفهوم الأمة الإسلامية، حيث انفتح المجال واسعا للمملكة العربية السعودية كي تقدم لمصر دعمها المادي، وعقيدتها الوهابية أيضا(3).

وبحسب (فيربيه) فإن هذا لم يكن كل شيء، حيث أدت النكسة أيضا إلى بحث المصريين عن ملاذ يخفف عنهم وطأة الهزيمة، ولم يكن هناك ملاذ أفضل من الدين، حيث استفاض الدعاة في تذكير الناس بأن الدول تنهار حين تبتعد عن الدين.

وعلى الرغم من وجاهه الرأي الذي يتبناه (فيربيه) فإنه ليس ثمة دليل على أن مصر فتحت أبوابها للوهابية، طوال حياة الرئيس جمال عبد الناصر، بل إن ثمة مؤشرات تقول إن العكس هو الصحيح، فجماعة (أنصار السنة المحمدية) التي ظهرت عام 1926، والتي يتبني أعضاؤها المذهب الوهابي بشكل واضح، هذه الجماعة أغلقت أبوابها للمرة الأولى في عهد الرئيس عبد الناصر، وبعد نكسة يونيو بعامين، وبعد أن كانت المملكة العربية السعودية قد قدمت دعمها المادي لمصر، في مؤتمر القمه العربي بالخرطوم. حيث تذكر الجماعة على موقعها الإلكتروني؛ أن الحكومة المصرية أصدرت قرار إغلاق الجماعة في العام 1969، وأدمجت مقارها وأموالها مع الجمعية الشرعية، واقتضى الأمر ثلاث سنوات، كي تعود الجماعة السلفية إلى نشاطها، الذي شهد مزيدا من التوسع، ولم يكن ذلك سوى في عهد الرئيس السادات، وبالتحديد في عام 1972.

وإذا عدنا لوجهة النظر التي يتبناها (جان نويل فيرييه) سنجده يدلل على وجهة نظره بالقرار الذي أصدره الرئيس عبد الناصر في عام 1969، بالإفراج عن ألف من كوادر الإخوان المسلمين الموجودين في السجون، بل إنه (أي ناصر) شرع سرا في الحوار مع قادتهم في الخارج، بحثا عن الوحدة الوطنية في مواجهة إسرائيل.

ورغم أن (فيرييه) لا يقدم دليلا ملموسا على تحاور عبد الناصر مع إخوان الخارج.

إلا أن (إيريك رولو(4)) يسير في نفس الاتجاه، فيما كتبه عن مصر في تلك الفترة في صحيفة اللوموند(5) حيث يذكر أن الإذاعة والتليفزيون تلقيتا الأوامر بعد النكسة بإذاعة القرآن الكريم بشكل دوري، واستضافت الدعاة المحافظين، كما تدفقت الأموال السعودية على وادي النيل، لتمويل بناء المساجد، وتأسيس المدارس والجمعيات الدينية.

وبشكل عام يتبني روبير سوليه في كتابه (السادات) وجهة النظر التي تقول: إن إعادة أسلمة المجتمع بدأت قبل عهد السادات، إلا أنها اكتسبت منذ 1971 قوة جديدة وصارت لها أهداف جديدة.

هذه (الأهداف الجديدة) التي تبناها الرئيس السادات، هي التي صاغت وجه الحياة في مصر حتى يومنا هذا.

وجهة النظر التي ترى أن مصر اتجهت يمينا بعد النكسة، تبرئ السادات جزئيا من فكرة صناعة المارد الإسلامي، الذي التهمه في النهاية. لكن الحقيقة أنه ليس ثمة إثباتات تاريخية عميقة عليها، فضلا عن أن سوليه نفسه يبدو مدركا لفداحة ما قام به السادات، حين يتحدث عن تقييده لمنافسي المارد، الذي أطلقه من القمقم، فلم تكن الجريمة في استدعاء الإسلاميين فقط، لكن المشكلة الحقيقية كانت في تقييد منافسيهم من اليسار والليبراليين، وهكذا ظلت الساحة خالية لسنوات تمكن فيها الدعاة من تشكيل وعي الناس السياسي في المساجد.

إن مراجعة أوراق قضية مثل الفنية العسكرية مثلا، تصيبك بالدهشة، حيث ستجد أن النسبة العظمى من المتهمين الشباب، اعتنقوا أفكار العنف عن طريق إمام مسجد وداعية هو الشيخ على إسماعيل، ولم يكن الرجل سوى شقيق عبد الفتاح إسماعيل، شريك سيد قطب في إعادة تأسيس تنظيم الإخوان، وأحد الخمسة الذين حكم عليهم بالإعدام في قضية الإخوان عام 1965.

وبحسب (جيل كيبل(6)) فإن السادات قد عوض غياب أيديولوجيا حاكمة لنظامه بترك الساحة للاعبين الدينيين، وعلى عكس ما كان يحدث في عصر الرئيس عبد الناصر، لم تعد الدولة مسيطرة على الأيديولوجيا، التي تصيغ حياة الناس، ولا على رجال الدين.. لقد تحول الأمر إلى سوق كبير(7).

كان هدف السادات بكل تأكيد أن يشل الإسلاميون حركة منافسيه من اليساريين، ولم تكن هناك سوق حرة للأفكار سوى بداخل المساجد، من خلال خطاب ديني عرف الإسلاميون كيف يحولونه كي يخدم مصلحتهم.

وبحسب جيل كيبل، فقد دخل السادات في صفقة مع الإسلاميين، وكانت الخدعة أن الأكبر سنا من الإسلاميين، هم الذين ساوموه، بينما اختار الأصغر سنا طريق العنف، وأردوه قتيلا في النهاية.

لم يقيد السادات اليساريين والليبراليين فقط، ولكنه -بحسب سوليه- قيد حرية الاقباط في بناء الكنائس وبمعني آخر فقد تم اخلاء المسرح للاعب وحيد هو الإسلاميين، واستمر العرض لسنوات طويلة وبأشكال مختلفة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هوامش الفصل الأول

(1) روبير سوليه: صحفي وروائي فرنسي ولد في مصر عام 1946، تدور معظم كتبه ورواياته الصادرة بالفرنسية عن الحياة في مصر، ترجمت له عدة كتب للعربية من بينها كتابه السادات الصادر عن دار نوفل ببيروت.

(2) فيرييهولد في 1959، باحث علوم سياسية وعالم اجتماع فرنسي. درس في جامعة القاهرة وتخصص في التطورات السياسية للعالم العربي.

(3) السادات تأليف روبير سوليه - دار نوفل

(4) إيريك رولو: دبلوماسي وصحفي فرنسي (1926-2015) ولد ونشأ في القاهرة، من أبرز الصحفيين المتخصصين في شئون الشرق الأوسط.

(5) السادات تأليف روبير سوليه - دار نوفل

(6) جيل كيبل: عالم سياسي ومستغرب فرنسي متخصص في دراسات الشرق الأوسط المعاصر والمسلمين في الغرب، من مواليد فرنسا 1955، يعمل حاليا أستاذا في جامعة باريس، له عدة دراسات مهمة عن الحركة الإسلامية في مصر أشهرها رسالة الدكتوراه الخاصة به والتي حولها لكتاب حمل (النبي والفرعون) صدر في لندن 1985.

(7) نفس المصدر

الرئيس المؤمـن

في كل الأحوال، فإن الافتراض غير المؤكد عن اتجاه مصر يمينا بعد نكسة يونيو، والحديث (المؤكد) عن صفقه بين السادات وبين الإسلاميين، لا ينفي أنه كان ثمة ميل شخصي لدى الرئيس السادات للاتجاه الإسلامي. وفي كتابه (مصر بين الديمقراطية والإسلام) يرصد فيريه إعجاب السادات بشخصية حسن البنا، مؤسس الإخوان المسلمين، وكيف أن السادات كان يراه رجلا محترما لم يكن ليرضى أبدا عن تجاوزات أتباعه التي ارتكبوها بعد وفاته(8)، ووجهة النظر هذه يتبناها بعض قادة الإخوان المسلمين أنفسهم، مثل كمال الهلباوي.

بشكل عام لم يكن الرئيس السادات ينتظر أن تتم الصفقة مع الإسلاميين، كي يبدأ في مظاهر الأسلمة. فبعد أسابيع قليلة من حسمه للصراع مع رجال عبد الناصر، قرر السادات أن يمنح مصر دستورا جديدا هو دستور 1971.

ولأول مرة يحتوي الدستور المصري على مادة تقول: إن مبادئ الشريعة الإسلامية، هي المصدر الرئيسي للتشريع.. كانت هذه هي المادة الثانية من الدستور، تم الاستفتاء على الدستور في 11 سبتمبر 1971، وبعد إقراره بأيام قليلة، ظهر لقب (الرئيس المؤمن) ليلازم الرئيس السادات ما تبقي من حياته.. ظهرت أيضا صورة الرئيس وهو يصلي مرتديا عباءته الشهيرة، بينما غزت جبهته علامة الصلاة الشهيرة التي يعرفها المصريون بـ(الزبيبة)، أصبح التليفزيون ينقل صورته وهو يصلي كل يوم جمعة في مسجد مختلف.

وبينما كان جمال عبد الناصر يبدأ خطابه بعبارة (الإخوة المواطنون)، فضل السادات أن يبدأ خطابه بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) لم يكن في الأمر جريمة بكل تأكيد، لكن الرئيس السادات كان يمهد الأرض لطريق سيسير فيه فيما بعد.

لم يكن السادات يريد أن يصل للنهاية التي وصل لها بكل تأكيد، ولا كان يتخيل ذلك. لكن كان بداخله شخص محافظ دفعه للطريق الذي اصطحب مصر إليه، قال إنه يريد أن يبني دولة (العلم) و(الإيمان) بينما عرف السياسة في كتابه "البحث عن الذات" بأنها (فن بناء المجتمع الذي نطبق فيه مشيئة الله)، هكذا مهد السادات الطريق للصفقة، ودفع ثمنها غاليا بعد ذلك بسنوات، بينما ظلت مصر تدفع أقساطا من الثمن حتى الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الهوامش

(8) نفس المصدر

2 - الصراع والصفقة

برغم الطبيعة المحافظة للرئيس السادات فإننا لا يمكن أن نفهم ما دار بينه وبين الإخوان المسلمين، بمعزل عن الصراع الذي دار بينه وبين رجال جمال عبد الناصر، الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم (مراكز القوى)، لقد كان السادات رجلا من خارج هذه المراكز، كان الوحيد من رجال مجلس قيادة الثورة الذين استطاعوا البقاء إلى جوار جمال عبد الناصر، ولم يسقط (الاستثناء الوحيد الآخر كان حسين الشافعي).

لم يكن السادات مسيطرا على التنظيم السياسي الوحيد، ولا على أي من الأجهزة الأمنية، لكنه كان على علاقه جيدة بعبد الناصر، توثقت أكثر بعد وفاة عبد الحكيم عامر.

اختاره ناصر كي يكون نائبا له في سبتمبر عام 1969، وبعد عام كامل أصبح رئيسا للجمهورية.

تفاوتت التفسيرات حول أسباب اختياره، لكنه في النهاية كان نائبا لرئيس الجمهورية، بقرار كامل من الرئيس عبد الناصر.

رأي البعض أنه كان حلا وسطا بين أقصى اليمين، الذي كان يمثله زكريا محيي الدين، النائب الأسبق لعبد الناصر، ورئيس وزرائه ومؤسس جهاز المخابرات المصرية، وبين على صبري، الذي كان أيضا نائبا للرئيس، ورئيسا للوزراء ورئيسا للمخابرات(9).

كان أحد التفسيرات يقول أيضا: إن رجال عبد الناصر أرادوا أن يصعد السادات إلى منصب الرئيس، حيث ظنوا أنه يمكنهم التخلص منه بسهولة، في حين يرى (إيريك رولو) إنه جاء لأنه لم يكن ذا عداءات قوية طوال تاريخه، ولم يكن مثيرا للقلق بشكل عام، لأنه لم يكن من مراكز القوى الحقيقية في عهد عبد الناصر.

أيًا كان الأمر، فقد أصبح السادات رئيسا للجمهورية، وفاز في الاستفتاء الذي أجريَ حوله بنسبه 90 % تقريبا، وبحسب روبير سوليه، فلم يتوقع الكثيرون أن يستمر في الحكم، وكان أبرز هؤلاء هو هنري كسينجر، مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي، الذي لم يتوقع وقتها أن يستمر السادات سوى بضعة أسابيع.

لكن الرئيس ذا القدرات التي لم تظهر للجميع، استمر في الحكم لسنوات، وكان الخلاف بينه وبين (مراكز القوى) في جوهره، هو خلاف حول القيادة، وهل تكون جماعية أم فردية؟ كان هناك خلاف آخر حول توقيت المعركة ضد

إسرائيل، وكان رجال عبد الناصر يطالبونه ببدء المعركة فورا، وكان هو يريد التأجيل حتى يضمن أفضل النتائج الممكنة(10).

كان الرئيس السادات يتجه يمينا بسرعة كبيرة، ومن وجهة نظره هو؛ فقد كان يتخذ إجراءات مصالحة للذين خاصمتهم ثورة يوليو، وبعد الجبهة الداخلية للمعركة، ففي فبراير 1971، أعاد الأراضي التي استولى عليها الإصلاح الزراعي لثمانمائة من كبار الملاك، كما صرف تعويضات لخمسة آلاف عائلة أخرى تم الاستيلاء على أراضيها وتوزيعها على كبار الفلاحين عام (11)1969.

دخل السادات في مشروع للوحدة مع سوريا وليبيا، رأي رجال عبد الناصر أن الدخول في مشروع للوحدة من شأنه أن يعطل البدء في المعركة، فوقفوا ضدها، ورفض الاتحاد الاشتراكي بأغلبية ساحقة مشروع الوحدة، رغم أن السادات كان قد أعلن عنها بالفعل.

الأكثر من هذا، أن رجال عبد الناصر صمموا على حذف المقاطع التي تتحدث عن الوحدة من خطاب، كان السادات سيلقيه أمام مجلس الأمة.

تصاعد الصراع أكثر، حين ذهب السادات إلى حلوان ليلقي خطابه في عيد العمال، الذي كان يوافق أول مايو، لم يجد السادات صوره مرفوعة، ولم يهتف باسمه أحد..، كانت الصور المرفوعة لجمال عبد الناصر، وكانت الهتافات أيضا باسم ناصر، وفي الخلفية كان الرجال، الذين كرههم السادات وسماهم باسم مراكز القوى.

قرر السادات أن يرد على ما حدث، وأقال على صبري، من منصب نائب رئيس الجمهورية، واتهمه بالسعي لتخريب الوحدة مع سوريا وليبيا.

بعد إقالة على صبري، تأكد السادات أنه يواجه كتلة واحدة من رجال عبد الناصر، وكان يصفهم برجال (البولتبور) أو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي. وبينما كان كل طرف يتدبر ما يمكن أن يفعله ضد الطرف الآخر، سعى طه زكي، الضابط في المباحث العامة، لمقابلة الرئيس السادات.

لم يتح للضابط الشاب أن يقابل الرئيس، لكنه استطاع أن يوصل له شريط تسجيل يحتوي على مكالمه تناقش كيفيه اعتقال الرئيس أو حتى اغتياله.

استمع الرئيس السادات للمكالمة مساء 11 مايو، وقرر التحرك.. ألغي السادات زيارة كان يعتزم القيام بها لمديرية التحرير، وقال إنه مريض، وفي المساء أقال شعراوي جمعة من منصبه. قرر رجال عبد الناصر تقديم استقالات جماعيه.. استقال ثلاثة وزراء، ورئيس مجلس الأمة وعدد من رجال الاتحاد الاشتراكي. وقبل الرئيس السادات الاستقالات.

حسمت القوات المسلحة الصراع، حين رفض الفريق محمد صادق، رئيس الأركان، تنفيذ أمر صدر له بالسيطرة على القاهرة، انحازت القوات المسلحة للشرعية الدستورية، وتم تنفيذ خطة لتأمين القاهرة.

في نفس هذا الوقت (مساء الرابع عشر من مايو) كان الفريق الليثي ناصف، قائد الحرس الجمهوري، يتسلم قائمه اعتقالات من الرئيس السادات، ويلقي القبض على الأسماء الموجودة فيها.

في الصباح، توجه الرئيس السادات إلى مبني الإذاعة والتليفزيون، وألقى خطابا قال فيه إنه (سيفرم) أية قوة تعمل ضد مصر، وضد الحريات التي منحها للناس.

بعد الخطاب، خرجت الجماهير في مظاهرات عارمة تهتف (إفرم افرم يا سادات) وهكذا تحقق للسادات تأييد مؤسسات الدولة الصلبة وتأييد الجماهير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(9) نفس المصدر

(10) نفس المصدر

(11) نفس المصدر

رجل الإخوان في حديقة السادات

لم يكن الصراع، الذي أوجزنا فصوله في السطور السابقة -بعيدا عن قطار (الأسلمة) الذي أطلقه السادات، أو انطلق في عهده، فمن قلب هذا الصراع ولدت علاقة بين السادات ومحام من أسيوط عرف فيما بعد بأنه (الرجل الذي أسس الجماعات الإسلامية)، الرجل هو محمد عثمان إسماعيل، وقد عاش ومات وليس في سيرته ما يستحق التوقف أمامه سوى أنه (الرجل الذي أسس الجماعات الإسلامية)، هو محام ينتمي لأسرة موسرة في أسيوط، دخل مجلس الأمة في عام 1964، وترقي في عضوية الاتحاد الاشتراكي حتى أصبح أمينا للجنته في المحافظة. وفي الغالب فإن معرفته بالسادات تمتد للسنوات التي كان السادات فيها رئيسا لمجلس الأمة، لكن نقطة الذروة في العلاقة؛ كانت في اللحظة التي خرجت فيها خلافات السادات ورجال عبد الناصر للعلن.. حيث انحاز الرجل بشكل واضح للسادات، وأعلن ولاءه له.. وعندما تطور الصراع، حمل الرجل سلاحه الشخصي، ونام في حديقة منزل السادات، كي يحميه من رجال عبد الناصر.

لكن الولاء الشخصي لم يكن كل مؤهلاته، فالرجل كان ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين بشكل أو بآخر، وأغلب الظن أنه كان أحد طلاب الإخوان في جامعة القاهرة، الذين أدركهم صدام الثورة والجماعة في عام 1954، فآثر أن يلتزم الصمت، ويذوب وسط الجموع، وبحسب ما يرويه فؤاد علام، نائب رئيس المباحث العامة، في كتابه (الإخوان وأنا) فقد كان انتماؤه للإخوان أكيدا، حيث يقول (حذرت السادات من أن محمد عثمان إسماعيل كان من الإخوان، وله صلات وطيدة بقياداتها مثل عبد العظيم لقمة، وعمر التلمساني، ومصطفى مشهور، وكان عضوا نشطا في شعبة الإخوان في أسيوط(12).

بحسب رواية فؤاد علام، فإن عملية تأسيس الجماعات الإسلامية في الجامعات، لم تتم من خلال أجهزة الدولة المصرية، بل إنها حذرت السادات منها.

ويمضي فؤاد علام ليروي أن السادات لم يستجب لتحذيره من محمد عثمان إسماعيل، بل إنه عينه محافظا بدرجة وزير رغم أن المحافظين كانوا وقتها يعينون بدرجة نائب وزير، والأهم أنه (حدث اجتماع في مقر الاتحاد الاشتراكي حضره محمد إبراهيم الدكروري، عضو مجلس الأمة، ومحمد عثمان إسماعيل، واتخذ القرار السياسي بدعم نشاط الجماعات الإسلامية ماديا ومعنويا(13).

أهم ما في مذكرات فؤاد علام، التي نشرتها مجلة روز اليوسف في عام 1995، أنها استفزت محمد عثمان إسماعيل للرد، كان الرجل قد دخل في

حالة بيات شتوي طويل منذ عزله من منصبه عقب وفاة السادات، أرسل ردا قصيرا حاول أن يدافع فيه عن نفسه، لكنه أكد الواقعة التي لم يكن ثمة إثبات رسمي عليها، قال إنه (أسس الجماعات الإسلامية في الجامعات بأمر من الرئيس السادات)، ولم يشرح أكثر من هذا.

وعلى ما يبدو، فإن أحدا قد نبه الرجل إلى أن ما سيقوله سيتحول إلى دليل إدانة له، فلم يفصح عن الكثير من التفاصيل، رغم أنه أصدر مذكراته في منتصف التسعينيات، والمذكرات تكشف عن سياسي محلي نصف موهوب، يعتز كثيرا بحكايات حول تصديه لنفوذ أقارب الرئيس عبد الناصر في أسيوط في الستينيات، وهي تكشف عن أن الرجل كان منفذا لرؤية الرئيس السادات، ولم يكن صاحب رؤية.

الاعتراف الوحيد بدور الرجل في الوساطة بين السادات والإخوان لم يرد على لسانه مباشرة. لكن على لسان أبو العلا ماضي، رئيس حزب الوسط، كتب أبو العلا مقالا نشره موقع الحزب، روى فيه تفاصيل مقابلة جمعته بالرجل، قال إنه قابله مصادفة في مطار أسيوط عام 1999، وأنه تحدث معه عن خلافه –أبو العلا- مع الجماعة، وأردف قائلا: إنه يعتقد أن الإخوان في حاجة إلى رجل يمتلك قلبا مؤمنا، وعقلا سياسيا، وأنه يعتقد أن أحدا لم يمتلك هاتين الموهبتين سوى إخواني واحد هو حسن البنا، يروي أبو العلا أنه قال له: إنه يعتقد أن عمر التلمساني أيضا كان يمتلك عقلا سياسيا.. لكن محدثه نفى صفة السياسة عن التلمساني، وروى قصة كان طرفا فيها.. (عرضت على الرئيس السادات أن يعود الإخوان حتى يتصدوا لنفوذ الناصريين، فقال لي موافق على أن يؤسس الإخوان حزبا، لكن بشرطين.. الأول ألاّ يحمل اسم الحزب إشارة للإخوان المسلمين، والثاني ألا يضم الحزب أي قيادة من قيادات النظام الخاص) ويروي عثمان إسماعيل، أنه حمل عرض السادات لعمر التلمساني، وأن الأخير رفض العرض، وبحسب رواية عثمان إسماعيل، فإنه لم يشأ أن يخبر السادات برفض التلمساني، نتيجة حبه –إسماعيل- للإخوان وخوفه عليهم، وكان الحل أن يقترح على السادات تأسيس جماعة إسلامية جديدة في الجامعات، وأن يترك الإخوان جانبا(14).

هذه الرواية هي واحدة من روايات مختلفة ومتواترة عن اتصالات جرت بين الرئيس السادات وجماعة الإخوان، حيث تقول إحدى الروايات: إن السادات قابل عمر التلمساني بالفعل في حديقة قصر المنتزه، وأنه اتفق معه على أن تعود الجماعة للعمل، شريطة ألا ينضم لها من كان عضوًا في الجهاز السري، وألا تعارضه الجماعة أو تنتقده، وأن التلمساني عاد سعيدا ليقابل قادة جماعته متعجبًا من مشيئة الله، التي سخرت السادات ليعيد إحياء الجماعة، ويسمح لها بالعمل، بعد أن كان عبد الناصر يخطط لإبادة الإسلام، على حد

تعبيره، في هذه الرواية، في حين تقول رواية أخرى: إن السادات وصل إلى قمة ضيقه من سيطرة اليساريين على الحركة الطلابية في جامعة القاهرة، وأنه أرسل يستدعي المرشد العام للجماعة حسن الهضيبي، من محبسه، وأنه اجتمع به، واتفقا على نفس الشروط السابقة، وقالت رواية أخرى: إن الشيخ السيد سابق، المفتي السابق للإخوان، حضر أحد هذه اللقاءات بين عمر التلمساني والإخوان، وإن الاجتماع لم يسفر عن شيء، ولم يعاود السادات الاتصال به، وربما لم تسفر هذه الاجتماعات عن اتفاق مباشر، لكنها بكل تأكيد أسفرت عن نتائج ما زلنا نرى أثرها حتى الآن، ويمكن لنا أن نلخصها بما يمكن تسميته (أسلمة المجال العام في مصر)، لقد تأسست الجماعات الإسلامية المختلفة في جامعات مصر، وحظت بدعم مؤكد من أجهزة الدولة التي مولت نشاطاتها، وانقسمت لثلاثة تيارات رئيسية، كان أكبرها التيار الذي صار جناحا طلابيا للإخوان المسلمين، ليس من المهم إطلاقا إذن أن تحصل على اعتراف رسمي من جميع الأطراف بما جرى، ما دامت النتائج ملموسة وموجودة على أرض الواقع.

والحقيقة أنه كانت هناك اتصالات بين الإخوان وبين السادات تسبق توليه السلطة بعام تقريبًا، هذه اللقاءات يتحدث عنها د. محمود جامع، في كتابه (عرفت السادات) حيث جرت ثلاثة لقاءات في بيته في طنطا بين السادات وبين قيادات من الإخوان، يذكر منها لاشين أبو شنب، ويؤكد جامع أن السادات أجرى اللقاءات، وهو نائب للرئيس... الواقعة نفسها يذكرها اللواء فؤاد علام، في كتابه (الإخوان وأنا) حيث يقول إن الأجهزة الأمنية في طنطا رصدت لقاءات السادات بالإخوان، وهو نائب للرئيس، وأنه كان يذهب للاجتماعات في سيارة تابعة للرئاسة، ويقول علام: إنه رفع أمر الاجتماعات لوزير الداخلية شعراوي جمعة، وعرض عليه التنصت عليها، لكن جمعة -الذي لم يكن على علم بالاجتماعات- رفض أن يتم التنصت عليها، ويقول علام: إن اجتماعًا رابعًا عقده السادات مع الإخوان في منزله في قرية (ميت أبو الكوم) حضره عباس السيسي، أحد قيادات الإخوان الكبار.. ومن السياق يبدو أن الرئيس عبد الناصر كان على علم بالاجتماعات، وأنه هو الذي كلف السادات بإجرائها في إطار توحيد الجبهة الداخلية بعد النكسة، وهو أمر فرضته الظروف السياسية، وهو ما يعزز من الفرضية التي تقول: إن عودة الإسلاميين للمشهد كانت نتيجة حتمية للنكسة.

وأيًا كان الأمر، فقد أجرى الرئيس السادات اتصالاته بالإخوان المسلمين، وبالتحديد بقياداتهم الموجودة في الخارج، وهو ما أشار له الاستاذ محمد حسنين هيكل، في كتابه (خريف الغضب)، تحدث هيكل عن اجتماع ضم السادات مع قيادات الإخوان في الخارج في استراحة (جناكليس) الرئاسية في الإسكندرية، وقال إن اللقاء لم يسفر عن نتائج مباشرة، وإن الإخوان

الذين قابلوا السادات لم يكن لديهم الصلاحيات لإبرام اتفاق، وربما اكتفوا بالاستماع فقط(15).

مفاوضات السادات مع الإخوان يرصدها شاهد آخر هو محمود جامع، وهو طبيب من طنطا عرف الرئيس السادات قبل أن يصبح رئيسا، وجمعته به صداقة شخصية، هو من المحسوبين على الإسلاميين بشكل أو بآخر، ولم يحظ كتابه (عرفت السادات) بالتقدير اللازم كونه سرد وقائع كثيرة مختلفًا عليها، لكنه يتعرض في كتابه لمفاوضات السادات مع إخوان الخارج، ويقول إنه وجه الدعوة لهم للعودة إلى مصر، وأن ذلك كان خطوة مباشرة أعقبت انتهاء صراعه مع رجال عبد الناصر.

يقول جامع: إنه سافر للخارج بتكليف من السادات والتقى بمجموعة من قيادات الإخوان كان منهم يوسف القرضاوي، وأحمد العسال وعبد الرؤوف مشهور، وسالم نجم، ويروي جامع أن هذه الاتصالات أسفرت عن الافراج عن قادة الإخوان في السجون، وكان من بينهم عبد القادر حلمي، وصالح أبو رقيق.

ويروي جامع أن السادات أرسل د. سعيد النجار، أستاذ الاقتصاد، للسجن كي يتم مع الإخوان تفاصيل الاتفاق، الذي تضمن أيضا إعادة الجنسية للإخوان الذين سحبت منهم جنسياتهم أيام عبد الناصر(16).

وبحسب ما يرويه محمود جامع، فقد التقي أيضا بمجموعة من الإخوان المقيمين في السعودية، حيث طلب الإخوان السماح لهم بالعودة إلى مصر، وإعادة المفصولين إلى أعمالهم، وإعادة ما اعتبروه (حقوقا مسلوبة)، مع السماح لهم بالدعوة، والإفراج عن معتقليهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(12) الإخوان وأنا - فؤاد علام - المكتب المصري الحديث

(13) الإخوان وأنا - فؤاد علام - المكتب المصري الحديث

(14) الموقع الإلكتروني لحزب الوسط - مقال لأبو العلا ماضي

(15) خريف الغضب - محمد حسنين هيكل

(16) عرفت السادات - محمود جامع - المكتب المصري الحديث

في الجامعة.. التنافس في خدمة النظام

إذا كانت ثمة عوامل متباينة أدت إلى تديين المجال العام في مصر، وطبعه بالطابع (الإسلامي – السلفي)، الذي استمر حتى الآن، فإن إطلاق الجماعات الدينية في الجامعات المصرية، احتل نصيب الأسد من بين هذه العوامل.

وفي الحقيقة فهناك أكثر من جماعة دينية تم تأسيسها في جامعات مصر المختلفة وأولاها الجامعة الأم في القاهرة، وبالتحديد نتحدث عن جماعتين، لعب النظام دورا رئيسيا في تأسيس أولاهما، وكانت تبعيتها له مباشرة، وهي جماعة (شباب الإسلام)، في حين لعب دورا غير مباشر في انتشار الثانية، ودعمها من خلال الميزانيات السخية لاتحادات الطلاب التي كانت تسيطر عليها، وهي (الجماعة الإسلامية) التي أسسها طالب في كلية الطب، هو عبد المنعم أبو الفتوح، وضمت طلابا صاروا فيما بعد من قيادات جماعة الإخوان في مصر، مثل عصام العريان وحلمي الجزار، فضلا عن أبو الفتوح نفسه، ولعل ما يلفت النظر أن قيادات الجماعتين تبادلتا الاتهامات بالتبعية للنظام ولأجهزته المختلفة، وأوجه دعمها المتعددة.

لقد سجل مؤسسا الجماعتين شهادتهما في كتابين مختلفين، وليس من العدل القول إن الشهادتين تتساويان في قيمتهما الأدبية أو في الوزن السياسي لصاحبيهما.. الشهادة الأولى: سجلها وائل عثمان، مؤسس جماعة شباب الإسلام في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وحملت عنوان (من أسرار الحركة الطلابية).. وائل عثمان نفسه شخصية مثيرة للفضول، فقد اختفى من المجال العام بعد انتهاء سنوات السبعينيات، وترك مجموعة كتب ذات محتوى فكري ضحل، وكان من اللافت للنظر أن الشيخ محمد متولي الشعراوي كتب مقدمة أحدها عام 1975، وهو كتاب يحمل عنوان (حزب الله في مواجهة حزب الشيطان)، ولا شك أن كتابة الشيخ الشعراوي للمقدمة له دلالة حول شيئين، أولهما هو الدور الذي لعبه دعاة مثل الشعراوي، والغزالي، وسيد سابق في دعم الجماعات الدينية في الجامعات، وتقديم جرعات الثقافة الدينية لكوادرها المختلفة في المعسكرات، وثانيهما هو الأهمية النسبية لمؤسس جماعة شباب الإسلام في ذلك الوقت، التي دفعت نجما مثل الشيخ الشعراوي لكتابة مقدمة كتابه الذي يدور حول مواجهة بين حزب الله من المطالبين بتطبيق الشريعة الإسلامية، وبين حزب (الشيطان) من اليساريين والعلمانيين الذين أسس جماعته لمواجهتهم(17).

إننا هنا لم نبتعد كثيرا عن المعلومات حول دور (رجل الحديقة) محمد عثمان إسماعيل، لقد نفذ الرجل فكرته التي اقترحها على الرئيس السادات، أو التي اقترحها الرئيس عليه، وأسس جماعته الدينية لمواجهة الطلاب الناصريين

والشيوعيين في الجامعة، ولم تكن هذه الجماعة سوى جماعة (شباب الإسلام) التي روى لنا وائل عثمان قصتها في كتابه، إننا إزاء شهادة يشوبها الغموض والارتباك بدرجة ما، كما أن الشاغل الاساسي لصاحبها هو نفي تهمة الارتباط بالأجهزة الأمنية وبالتنظيم السياسي الوحيد وقتها، لكن الحقيقة أن صاحب الشهادة، من خلال سرده للوقائع المختلفة، أكد ما يريد أن ينفيه.

نحن الآن في الشهور الأخيرة من عام 1972، الذي شهد وقائع حركة طلابية عارمة قادها الطلاب اليساريون، من خلال اللجنة الوطنية العليا، لم ينقض نفس العام حتى تم تأسيس جماعة (أنصار الإسلام) في شهر نوفمبر، لم تمر أسابيع على تأسيس الجماعة حتى وقع أول اشتباك ضخم بين طلاب تابعين للتيار الإسلامي الوليد وبين الطلاب اليساريين في الجامعة، كان الاشتباك كبيرا، وأسفر عن وقوع إصابات، وظهرت فيه لأول مرة المطاوي والأسلحة البيضاء في ساحة الجامعة.

بحسب ما يرويه وائل عثمان، فقد جاء تأسيس الجماعة بشكل غامض تماما بعد اتصال بين أحد الطلاب الذين سافروا للدراسة في ألمانيا، وبين الطالب عصام الغزالي الذي كان طالبا في هندسة القاهرة، أما عثمان نفسه، فقد أصبح واحدا من ألمع قادتها، على حد وصف عبد المنعم أبو الفتوح، منافسه في ذلك الوقت، ومؤسس الجماعة الإسلامية الثانية في جامعة القاهرة(18).

يروي عثمان أن الفترة التي أعقبت تأسيس الجماعة شهدت لقاءات مكثفة بين قادتها وبين مسئولي الاتحاد الاشتراكي وجهاز أمن الدولة، وهو يسجل ملاحظة ساذجة، وذات دلالة أيضا، حين يقول: إنه لاحظ (إيمانا غريبا) يسود المسئولين الذين قابلهم، فالآيات القرآنية تحتل الجدران في مكاتب المسئولين السياسيين، وكذلك مسئولي الجهاز الأمني.. كان ذلك أمرا غريبا في بدايات السبعينيات، للدرجة التي دفعت وائل عثمان لتسجيله في كتابه، لكنه لم يعد غريبا من وقتها.

من علامات اندهاش عثمان وقتها أيضا أن المسئولين باتوا ينادون بعضهم بعضًا بلقب (حاج) وهو ما لم يكن معتادا وقتها، بل إنه يؤكد أن رجال الاتحاد الاشتراكي كانوا ينادون بعضهم بلقب (يا رفيق) أثناء رئاسة على صبري له!

مع كثير من التفاصيل المتشابهة وذات الدلالة، فإن عثمان يقول في شهادته إنهم قابلوا المسئول الأول في الاتحاد الاشتراكي، وأنه أخبرهم أن ميزانية منظمة الشباب تزيد عن مائة مليون جنيه مصري، وأنه يعتقد أن جماعتهم أولى بهذه النقود من أعضاء المنظمة أنفسهم! وأنه يضع إمكانات الاتحاد الاشتراكي رهن إشارتهم.

تكرر الأمر نفسه مع ضابط بمباحث أمن الدولة، تحدث معهم عن خطورة الطلبة الشيوعيين وضرورة التصدي لهم.

إذا تأملنا في أهم ما تحتويه الشهادة، سنجد أنها تسرد عددا كبيرا من المقابلات مع مسئولين مختلفين، منهم د. أحمد كمال أبو المجد، وزير الشباب، ومحمد عثمان إسماعيل.. وأعضاء في مجلس الشعب، وأن الرسالة التي كان يرددها مسئولو النظام واحدة.. الرئيس ليس ضد العمل الإسلامي وهو ضد الشيوعية فقط.

في ثنايا السطور، ستجد محاوله دؤوبًا لنفي تهمه التبعية للنظام عن جماعة شباب الإسلام، ولتأكيد فكرة أن جماعة (شباب الإسلام) ظهرت أولا ثم تعاملت معها أجهزة الدولة فيما بعد.

أثناء هذه المحاولات، يروي عثمان وقائع لقاء مع محمد عثمان إسماعيل، وكيف عرض أن يمد الجماعة بما تريد من أموال، وكيف رفضت الجماعة العرض الذي قبلته الجماعة الإسلامية (جماعه عبد المنعم أبو الفتوح) التي يتهمها عثمان بأنها كانت أداة للنظام، ويروي أيضا أن محمد عثمان إسماعيل عرض أن يمول الاتحاد الاشتراكي تذاكر مجانيه للحج والعمرة يحصل عليها آلاف الطلاب مما يدعم نفوذ (شباب الإسلام) بينهم، وأنه في الوقت الذي رفضت جماعته العرض قبله عبد المنعم أبو الفتوح وجماعته(19).

إذا عدنا لكتاب (عبد المنعم أبو الفتوح: شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية) الذي سجل فيه شهادته على تأسيسه للجماعة الإسلامية، سنجد أنه ينفي تهمة التبعية للنظام عن الجماعة التي أسسها، ويتهم بها جماعة شباب الإسلام، فهو في أكثر من موضع من شهادته ينفي وجود صفقه بين الجماعة الإسلامية وبين الرئيس السادات، ويؤكد أن الجماعة التي أسسها محمد عثمان إسماعيل هي جماعة (شباب الإسلام)، التي لم يتجاوز وجودها حدود كلية الهندسة في جامعة القاهرة(20).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(17) من أسرار الحركة الإسلامية - وائل عثمان - طبعة خاصة

(18) نفس المصدر

(19) نفس المصدر

(20) عبد المنعم أبو الفتوح - شاهد على الحركة الإسلامية - دار الشروق

من هنـا عـاد الإخـوان

نكون مخطئين بكل تأكيد لو قلنا إن الحالة (الإسلامية) التي سادت المجتمع المصري منذ بداية السبعينيات، هي صناعة حكومية مائة في المائة، لكننا نكون أكثر خطأً لو قلنا إن الحركة -التي شهدها المجتمع واتخذت من الجامعات المصرية نقطة إنطلاق- كانت حالة عفوية بشكل كامل.. الأقرب للدقة أننا إزاء حركة فرضها ظرف تاريخي – نكسة يونيو – وأن هذه الحركة تم تضخيمها وتدعيمها وإفساح المجال لها، حتى ابتلعت المجال العام في مصر. الأسباب التي دفعت الرئيس السادات لتدعيم الإسلاميين وإفساح المجال لهم هي ثلاثة أسباب، اثنان منهما معروفان بدرجة كبيرة، وثالثهما تكشفت بعض تفاصيله، وسيتكشف المزيد منها مع مرور الوقت.

السبب الأول لدعم الإسلاميين هو تقليص نفوذ اليساريين والناصريين في الجامعات وفي المجتمع كله.

والسبب الثاني هو؛ أنه كشخص كان ذا ميل محافظ يريد أن يبني مجتمعا مؤمنا، أما السبب الثالث، فقد كان سياسة التقارب المتسارعة التي اتخذها الرئيس السادات مع المملكة العربية السعودية، وهي سياسة الحجم المتزايد للمملكة في المنطقة بعد نكسة يونيو، ولا شك أنها استندت أيضا إلى جسور من الود الشخصي، ربطت الرئيس السادات ببعض رموز النظام السعودي أثناء عمله كممثل لمصر في منظمة المؤتمر الإسلامي.

لقد أشار الأستاذ محمد حسنين هيكل لهذه العلاقة في كتابه الغاضب فعلا (خريف الغضب) والذي كتبه عام 1982، وبسبب ملابسات الكتاب نفسه، فربما كان علينا أن نحترس قليلا إزاء ما يقوله هيكل، لكن المفاجأة أنه في هذه الجزئية الخاصة بتشجيع السعودية على التصالح مع الإخوان، وتصعيد الإسلاميين، يروي وقائع محددة، منها مثلا رصد السعودية لملايين من الدولارات كتبرع منها للأزهر بقيادة الشيخ عبد الحليم محمود، لمحاربة النظام الشيوعي. وسنعود للواقعة بالتفصيل فيما بعد(21).

الأكيد إذن أنه كانت هناك أسباب إقليمية وداخلية، تدفع الرئيس السادات لتغذية جواد الإسلاميين وإطلاقه كي يربح السباق.

هل كانت هناك صفقة مع السادات؟ هذا هو السؤال ذو الإجابة الحرجة، الذي بقي معلقا فوق رؤوس قادة الجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة، وأهمهم عبد المنعم أبو الفتوح، لقد تحلي الرجل بشجاعة كبيرة، واعترف بعدد من الأخطاء التي وقع فيها هو وزملاؤه، منها إيمانهم بالعنف كوسيلة للتغيير، وإقدامهم على الاعتداء البدني على زملائهم المخالفين لهم في الرأي،

والطابع السلفي المتزمت والعنيف الذي صبغ تدينهم، لكنه لم يعتبر أنه كان ثمة صفقة بينهم وبين الرئيس السادات رغم أنه يعترف أن الجسور كانت مفتوحة بينهم وبين النظام في أعلى مستوياته، وأن أجهزة الأمن كانت تخشي من إغضابهم، وأنه كان يستطيع اصطحاب ألفي طالب كي يقيموا مخيما إسلاميا في الصحراء دون إخطار مسئول واحد أو الحصول على موافقة أي جهة!

لا يقلل نفي أبو الفتوح للصفقة مع الدولة من أهمية شهادته، مع التأكيد على أنه تعمد ترك بعض الحقائق والسكوت عنها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(21) خريف الغضب - محمد حسنين هيكل

مـن زرع حصـد

نحن الآن في العام 1971، والسادات يخوض صراعه مع مراكز القوى في منتصف العام تقريبا، لقد انتهي الصراع، وكثيرون من حملة (أيديولوجيا الدولة) في السجون، كانوا جنبا إلى جنب مع قيادات الإخوان المسلمين الذين أفرج عن بعضهم وبقي آخرون في الانتظار، لقد كانت الساحة خالية تقريبا، كان هناك الطلاب اليساريون والناصريون في الجامعات، وكانت الجماعة الإسلامية تظهر وتكبر بسرعة تبدو غير منطقيه، لقد استغرق الأمر خمس سنوات أو أقل حتى تكتب جريدة (المونيتور) عن عودة الإخوان في مصر، كان لعملية عودة الإخوان أبطال بلا شك، وكان البطل الاول هو عبد المنعم أبو الفتوح، كان معه زملاء آخرون أصبح بعضهم من قيادات الإخوان في مصر، وأصبح آخرون من نجوم الدعوة السلفية، وحمل آخرون السلاح في الصعيد، لكن نقطة البداية كانت من جامعة القاهرة.

كما يروي أبو الفتوح في شهادته فقد كانت الساحة خالية تماما، لم تكن هناك في الستينيات أي إشارة لنشاط للإسلام السياسي من أي نوع، لكن مساجد الجمعيتين السلفيتين (أنصار السنة، والجمعية الشرعية) كانتا مفتوحة للمؤمنين بالمشروع الإسلامي، وحتى عندما حلت أجهزة الدولة جمعية أنصار السنة، فقد سلمت أموالها ومساجدها للجمعية الشرعية كي تديرها(22).

كان من آثار هزيمة يونيو؛ انتشار الدروس الدينية وانتعاش حلقات التعليم الديني في المساجد، كان الدعاة الدينيون ذوو الماضي التنظيمي في الإخوان والذين أصبحوا من قيادات وزارة الأوقاف المصرية، هم أبطال المرحلة، (بزغ عدد من العلماء الذين نشطوا في هذه الفترة منهم الغزالي، والشيخ سيد سابق) يقول أبو الفتوح ويواصل (انتعشت المساجد بعد أن ارتفعت عنها القبضة الامنية، وانهار الحلم الناصري).

كان لشيوخ السلفية أيضا دورهم في إبقاء جذوة الإسلاميين مشتعلة (كان الشيخ البحيري، شيخ مشايخ الجمعية الشرعية، أبرز من أسهموا في تغيير صورة الإخوان للأفضل).

أما أبو الفتوح نفسه، فيعترف بأنه كان تكفيريا.. (كنت أعذر هذا الفصيل الذي خرج على الأستاذ الهضيبي عام 1965، وكفر عبد الناصر وجعله خارجا عن الإسلام). هكذا يقول.

دخل الطلاب الذين تربوا على يد الدعاة الإخوان في الستينيات الجامعة، ليواجهوا اليساريين (كانت مفاجأة لنا أن مجلات الحائط التي يعلقها اتحاد الطلاب تنتقد الإسلام وتخوض فيه بجرأة).. وكان للشيخ الغزالي الدور الأكبر

في توجيه الجيل الأول من الطلاب الإسلاميين (كان أقرب الشيوخ إلينا، وكان يوجهنا، وينصحنا بقراءة كتب معينة(23)).

من الذين لعبوا دورا كبيرا في توجيه الطلاب الإسلاميين أيضا د. عبد المنعم أبو الفضل وزوجته د. زهيرة عابدين، وهما زوجان من أعضاء الجماعة لم يكن هناك ما يستدعي اعتقالهما في الستينيات، لم يكن لهما نشاط تنظيمي، وقد سافر د. أبو الفضل فيما بعد للسعودية، وأسهم في أبحاث الإعجاز العلمي للقرآن، وأسس مع زوجته أول مدارس إسلامية خاصة في مصر هي مدارس الطلائع الإسلامية، وقد كان الرجل وزوجته من نجوم الحركة الإسلامية في الثمانينيات، وكانا محل تكريم كبير من طلابهما الذين أصبحوا قادة لنقابة الأطباء وغيرها من منظمات المجتمع المدني في الثمانينيات.

كان للتدين الفردي الدور الأكبر في رفد الجماعة الإسلامية بالعناصر التي انضمت لها، وكما يروي د. أبو الفتوح (كما أنني مدين في تديني للجمعية الشرعية التي نشأت في أحد مساجدها، وكذلك جمعية أنصار السنة التي كنت أذهب إليها، وأواظب على حضور الدروس الدينية التي يلقيها الشيخ حامد الفقي).

أما الغزالي، فقد كان صاحب الفضل الأكبر، لأنه (بث فينا الوعي بالإسلام كمشروع نهضوي) و(اجتذبنا واجتذب الإخوان المسلمين الذين كانوا يصلون وراءه رغم الخلاف القديم(24)).

إذا وضعنا دور الغزالي، الذي يتحدث عنه عبد المنعم أبو الفتوح، إلى جانب دوره في التحريض على رواية نجيب محفوظ (أولاد حارتنا)، ودوره في تحريض أئمة المساجد على صلاح جاهين إثر خلاف معه أثناء مناقشه الميثاق، سنعرف حجم الدور الذي لعبه (الإصلاحيون) الإخوان الذين تركوا الجماعة، دون أن يتركوا أفكارها، واخترقوا مؤسسات الدولة المصرية، وعملوا من خلالها، وأبرز نموذجين في المجال الدعوي هما محمد الغزالي، والشيخ السيد سابق، وإن كانت الموهبة الشخصية، والدعوية تجعل الغزالي أكثر تأثيرا.

لقد ظل الغزالي ابنا وفيا لفكرة الدولة الإسلامية رغم خروجه من جماعة الإخوان إثر خلافه مع مرشدها حسن الهضيبي، وعندما سأله نائب مرشد الجماعة أحمد الملط في منتصف السبعينيات عن المستقبل (ماذا بعد؟) أجابه (الإجابة لديكم أنتم)، لقد وصل الرجل بالفكرة الإخوانية لجيل الشباب، في الوقت الذي كان فيه الإخوان في السجون (لم تكن هناك رسالة إخوانية واحدة منشورة في طول مصر وعرضها.. وكان الغزالي يحمل فكر الإخوان الوسطي ويبشر به) يقول أبو الفتوح.

نفس الدور لعبه الشيخ سيد سابق الذي كان وكيل وزارة الأوقاف مثل الغزالي تماما (كنا ندعوه إلى الكلية لإلقاء محاضرات في مساجدها ثم في المدرجات، ثم في المخيمات التي كنا نقيمها في الجامعة، وكان مرجعنا في كثير من القضايا، والمسائل الفقهية).

في شهادته المهمة، التي سجلها الراحل حسام تمام، يتحدث أبو الفتوح عن الكتب التي استقى منها هو وجيله ثقافتهم الإسلامية (كتب انصار السنة، والجمعية الشرعية، وأبي الأعلى المودودي، وكذلك كتب الاتجاه السلفي).

لم يحتج الطلاب الإسلاميون للكثير من الوقت كي يحققوا وجودًا رسميا عبر السيطرة على اتحادات الطلاب الرسمية، ففي عام 1973 قرروا الترشح في انتخابات اتحاد الطلاب في كلية الطب، وفازوا بخمس لجان من أصل ست لجان للاتحاد، وأصبح رئيس الاتحاد إسلاميا للمرة الأولى، وتحولت كلية طب قصر العيني إلى مركز لقيادة الطلاب الإسلاميين في جامعات مصر كما يروي أبو الفتوح.

لم تكن اتحادات الطلاب وقتها كما هي عليه الآن، كانت تتمتع بميزانيات مالية كبيرة، وباستقلال في الحركة تكفله لائحة جامعية تم تغييرها فيما بعد، كان فوز الإسلاميين باتحاد الطلاب يعني أن جزءا من الميزانيات الرسمية أصبح تحت أيديهم، وكان يعني أيضا رضا كاملا من الدولة عن سيطرتهم على الاتحادات وعلى حد تعبير أبو الفتوح (كان مقر الاتحاد مبني كبيرا ملحقًا به ملاعب وساحات مما سمح بأن يتحول لمركز للنشاط الإسلامي)، ويضيف (تضاعفت قدرتنا على تقديم الخدمات للطلاب نظرا للميزانية الكبيرة للاتحاد) وكان من نتائج ذلك مزيد من انتشار الحجاب بين الطالبات (استطعنا أن ننشر زي الحجاب بين الطالبات ببيعه لهن). ولم يقتصر الأمر على الحجاب فقط، كانت هناك الكتب أيضا.. (طبعنا سلسلة كتيبات (صوت الحق) التي نشرت اهم الادبيات الإسلامية التي شكلت وعينا(25)). يقول أبو الفتوح.

كانت الدولة غائبة، ولم يكن هناك ليبراليون، وكانت القوى اليسارية والناصرية قد دخلت مرحلة الأفول.. هل يمكن أن نقول إن الدولة كانت متواطئة مع عودة الإخوان؟ الإجابة.. نعم.. في ذلك الوقت لم تكن طباعة مؤلفات حسن البنا وسيد قطب والمودودي وتوزيعها على الطلاب أمرا مستهجنا، بالعكس لقد كان ذلك يتم بأموال الدولة التي تخصصها لاتحاد الطلاب!

ومع هذه الكتب كانت تطبع أيضا كتب نجم الدعوة الجديد وقتها فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.. هكذا يقول د. أبو الفتوح.

لطالما كانت مخيمات المعايشة الكاملة إحدى أدوات جماعة الإخوان في تربية أعضائها فكريا وجسديا حتى إن الجماعة كانت لديها معسكرات كشفية، فضلا عن تنظيمها الخاص.. لقد عادت معسكرات الشاطئ مرة أخرى مع اتحاد الطلاب الذي سيطر عليه الإخوان (كان لدخولنا اتحاد الطلاب أكبر الأثر في التوسع في إقامة المخيمات الطلابية في الصيف والشتاء، وكان لهذه المخيمات أكبر دور في الحشد والتربية للأفراد).. ويضيف (كان العدد يصل لآلاف الطلاب وكانت مباني المدينة الجامعية تكتظ بالطلاب.

في هذه المخيمات تولي رجال مثل يوسف القرضاوي ومحمد الغزالي وأحمد كمال أبو المجد تشكيل عقول الطلاب وصوغهم ليكونوا طلابا (إسلاميين).

كانت كل كلية تقيم مخيما صيفيا إسلاميا، وكانت المخيمات ميدانا لصنع القيادات الطلابية الإسلامية بطريقة عفوية.

انتشرت الجماعة الإسلامية في الكليات المختلفة بعد أن بدأت بكلية الطب، أما اسمها فقد أطلقه عليها أعضاؤها إعجابا بأبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان.. أصبح للجماعة أمير يسيطر على رؤساء الاتحادات المختلفة، وكان عبد المنعم أبو الفتوح هو رئيس الاتحاد، وتولى عصام العريان إمارة الجماعة في جامعة القاهرة.

وفي عام 1977، ظهرت الجماعة الإسلامية ككيان يسيطر على الطلاب الإسلاميين في جامعات مصر كلها، وكان طالب الطب حلمي الجزار، هو أول أمير لها، وحمل لقب (أمير الأمراء).

كانت المخيمات الصيفية هي المكان الذي يلتقي فيه الإسلاميون من الجامعات المختلفة، وكانت المخيمات بدعم وتمويل كاملين من الدولة.. هذه هي السنوات التي شهدت (أسلمة المجال العام) وخروج الدين من حيز التدين الفردي ليصبح طقسا جماعيا يمارسه الجميع في انتظار إقامة الدولة الإسلامية..

خرجت الجماعة الإسلامية خارج أسوار الجامعات المختلفة، بدأت في إقامة صلوات العيد في الساحات والميادين كدليل على عودة الإسلاميين.. في الإسكندرية أقيمت الصلاة في ستاد الإسكندرية، وفي القاهرة نظمت أول صلاة للعيد في ميدان عابدين وأمَّ الصلاة فيها الشيخ القرضاوي، بينما رفعت الجماعة الإسلامية شعارا يقول (إلى الله يا مصر)، ولأول مرة ظهرت على الجدران في مصر شعارات تقول (إسلامية.. إسلامية.. لا شرقية ولا غربية)، (واحكم بينهم بما أنزل الله).. إلى آخر الشعارات التي صارت معتادة فيما تلى ذلك من عقود.

في الخارج وعلى مستوي دولي، أسس الإخوان (الاتحاد الدولي للمنظمات الطلابية) كمنظمة تجمع الطلاب الإخوان على مستوي العالم.. كان مقره في مدينة (أخن) الألمانية، وكان يترجم كتابات مفكري الإخوان في العالم لعشرين لغة مختلفة، ويرسلها كي توزع في اتحادات الطلاب التابعة له، نشر الاتحاد كتبا لأبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن الندوي، فضلا عن كتابات حسن البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عودة(26).. كان الطلاب المصريون يجدون كتابات قادة الإخوان بطريقة أسهل من التي يحصلون بها على كشكول المحاضرات.. كان ما يحدث مرغوبا به، ومتفقًا عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(22) عبد المنعم أبو الفتوح - مصدر سابق

(23) عبد المنعم أبو الفتوح - نفس المصدر

(24) نفس المصدر

(25) نفس المصدر

(26) نفس المصدر

إن الحكم إلا للـه

لم تكن موجة الأسلمة التي اجتاحت الجامعات المصرية منفصلة عما يحدث خارج أسوار الجامعة، كانت تتأثر بها سلبا وإيجابا، فالدعاة الإخوان داخل وزارة الاوقاف المصرية أقنعوا الطلاب المتدينين بحتمية قيام المجتمع الإسلامي، والطلاب بدورهم، اثروا في زملائهم واخرجوهم للمجتمع كوادر في الحركة الإسلامية بأطيافها المختلفة.

لم يأت العام 1974، إلا وكانت القيادات التاريخية للإخوان خارج السجون، وسمح للمرشد العام أن يعيد إصدار مجلة الدعوة، وتبنت المجلة قضية تطبيق الشريعة الإسلامية، وتضامن معها بشكل مطلق الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، الذي كان يخصص جزءا كبيرا من جهد الأزهر لمحاربة الشيوعية، وأصدر كتابا مترجما لعدد من المفكرين الاوربيين باسم (الإله الذي هوى) وتوسع في بناء المعاهد الأزهرية بتبرع خاص حصل عليه من إحدى الدول العربية(27).

لم يكن هناك حرج أن يكتب شيخ الأزهر مقالات في مجلة مملوكة للإخوان المسلمين، وهكذا نشرت الدعوة نص رسالة، كان عبد الحليم محمود قد وجهها لسيد مرعي، رئيس مجلس الشعب وقال له فيها إن الله قد حرم الخمر في فتدق الشيراتون، وشارع الهرم، كما حرمها في بولاق، وكلوت بك.. وكان ذلك تعليقا منه على قانون يحظر الخمر في الأماكن والمحال العامة، ويسمح بها في الفنادق، والمنشآت السياحية.

ولم يكن شيخ الأزهر، ولا جماعة الإخوان فقط هم المشاركين في مطلب تطبيق الشريعة، لكن تضامن معهم أيضا اتحاد طلاب جامعة القاهرة الذي أصدر بيانا يندد فيه بعرض قضية تطبيق الشريعة في مجلس الشعب، لأن العرض على المجلس يعني أن من حق النواب القبول أو الرفض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(27) خريف الغضب - محمد حسنين هيكل

الصفقة مع السـادات

هل كانت هناك صفقه بين الجماعة الإسلامية وبين السادات؟ الإجابة تتوقف على تعريف الصفقة، في شهادته ينفي أبو الفتوح وجود صفقة، لكن الحقيقة أن الجماعة حققت كل ما طلبه منها السادات وأكثر.. وإن كان الإسلاميون بعد ذلك قد تطوعوا بتحقيق ما لم يطلبه منهم أبدا.. قتلوه!

يقول أبو الفتوح: إن السادات كان لديه رغبة في السيطرة عليهم وتوظيفهم، لكنه لم يتصل بهم (مباشرة) أبدا! وضع تحت كلمة (مباشرة) عشر خطوط.. ففي عالم السياسة ليس شرطا أن تكون الاتصالات مباشرة.. بل إنها يفضل ألا تكون كذلك، ويضيف (حاول الاتصال بنا وتوظيفنا ضد الشيوعيين لكن الاتصالات فشلت)!، ويعترف أبو الفتوح أيضا باستخدام العنف البدني ضد الشيوعيين في الجامعة إلا أنه يعتبر ما حدث بمثابة (مواجهات تلقائية) يحكمها منطق الصراع وليست مواجهات مقصودة أو مخططة(28).

لماذا كانت المواجهات مع الشيوعيين إذن؟ يجيب أبو الفتوح (كانت تعبيرا عن حسَّنا الجهادي الذي كان يدفعنا لتغيير المنكر باليد أي بالقوة).. ويضيف (ما أتصوره أن السادات رأى أن يضرب التيار الشيوعي بطريقة تلقائية، ودون مجهود منه، وذلك بترك التيار الإسلامي، وكانت المساحة مهيأة تماما لنمو هذا التيار وانتشاره عفويا وطبيعيا ولم تكن هناك صفقة أو اتفاق سري).

يعتبر أبو الفتوح أن (محمد عثمان إسماعيل) أمين اللجنة العامة للاتحاد الاشتراكي وجد أنهم - الجماعة الإسلامية لا يصلحون كأداة (فأسس جماعة شباب الإسلام لكي تكون تيارا إسلاميا مرتبطا بالنظام وأنها انحسرت تماما فيما بعد)، لكنه لم يوضح طبيعة المفاوضات مع عثمان إسماعيل ولا تفاصيلها، ولا لماذا فشلت؟

الفضل الحقيقي للسادات من وجهة نظر أبو الفتوح كان (إزالة العوائق أمام الحركة الإسلامية وأمام الآخرين أيضا)، لا يعتبر أبو الفتوح أن جماعته كانت هي نفسها عائقا أمام (الآخرين) رغم اعترافه أكثر من مرة أنهم كانوا يستخدمون العنف البدني ضد مخالفيهم.

(كانت الدنيا مفتوحة أمامنا، وكنت وقتها -كقيادة طلابية- أستطيع أن اقابل رئيس الجامعة أو وزير التعليم في أي وقت).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الهوامش

(28) عبد المنعم أبو الفتوح - مصدر سابق

سلفيون في كل مكان

على خلاف ما صار عليه الأمر بعد سنوات طويلة، لم تكن ثمة تباينات واضحة بين التيارات الإسلامية المختلفة في بداية ظهور ما يسميه الإسلاميون بالـ(صحوة الإسلامية)، الجماعة الإسلامية في الجامعات المختلفة كانت تضم كل الطلاب الإسلاميين وأستغرق الأمر عدة سنوات كي تنقسم الجماعة إلى ثلاث تيارات أولها التيار الذي انضم للإخوان المسلمين وضم عبد المنعم أبو الفتوح، وعصام العريان، وحلمي الجزار، وثانيها التيار الذي أصبح جهاديا في الصعيد وضم كرم زهدي، وناجح إبراهيم، وفؤاد الدواليبى وآخرين، وثالثها تيار الدعوة السلفية الذي ظهر في الإسكندرية بشكل أساسي وقاده محمد إسماعيل المقدم، وأحمد فريد، وآخرون.. لكن العنصر المشترك بين هذه التيارات الثلاث كان أنهم يتدينون على الطريقة السلفية.. وكان ذلك راجعا إلى التأثيرات الوهابية الواضحة على الإسلاميين المصريين في بداية السبعينيات، وارتباط الجماعة الإسلامية ماديا بأشكال من الدعم المادي كانت توفرها المملكة العربية السعودية، مثل رحلات الحج والعمرة شبه المجانية، التي كانت مجالا خصبا لاستقطاب العناصر العادية، وإعادة تشكيل وعيها، فضلا عن المطبوعات، وغيرها من أشكال الدعم المختلفة، وقد تحدث عبد المنعم أبو الفتوح في شهادته عن الكتب الإسلامية التي كانت تأتي من المملكة العربية السعودية بآلاف النسخ على شكل هدايا مجانية، وكان اتحاد الطلاب بدوره يهديها للطلاب، أو يعيد طباعتها في سلسلة (صوت الحق) كما كان لرحلات العمرة دور كبير في انتشار الوهابية حيث كانت رحلة العمرة تكلف الطالب 25 جنيها فقط، وكانت الرحلات تستمر طوال الصيف، وكانت العمرة تتم في أفواج كثيرة وصل عددها الإجمالي 15 ألف طالب وطالبة، وبحسب ما يرويه أبو الفتوح فقد كان بعض الطلاب يتخلفون عن العودة من رحلات العمرة انتظارا لموسم الحج، وهناك يلتقي الطالب بعلماء السعودية فيعود من الرحلة شيخا سلفيا وهابيا(29)).

والحقيقة أننا إذا راجعنا السير الشخصية لكل زعماء الدعوة السلفية في الإسكندرية، فضلا عن الدعاة الشعبيين مثل محمد حسان ومحمد حسين يعقوب وأبو إسحق الحوينى سنجدها تتضمن شيئا عن السفر للمملكة العربية السعودية، والتعلم بشكل مباشر على يد رموز المؤسسة الوهابية مثل ابن باز والعثيمين وغيرهم).

يعتبر أبو الفتوح أن الطلاب الذين تشربوا الوهابية هم الذين انتشرت على أيديهم الاختلافات البسيطة حول السنن والأمور الفقهية حيث انشغل هذا الجيل من الإسلاميين بخوض معارك طاحنة حول العلاقة بين الرجل والمرأة

وضرورة الفصل بينهما في المدرجات.. فضلا عن أفكار أخرى حول الفصل في المستشفيات.

كما انعكس حول الإيمان بجواز استخدام العنف بل وجوب استخدامه في بعض الاحيان من أجل نشر (الفكرة الإسلامية) كما كان يؤمن بها الطلاب الإسلاميون في الجامعات، وكان التفكير –بحسب شهادة أبو الفتوح – ألا يتم استخدام العنف بشكل فوري، لكن يتم الإعداد لاستخدامه في اللحظة المناسبة بعد أن تقوى شوكة الإسلاميين ويصبحوا أغلبية(30). وهكذا كان توقيت استخدام العنف وليس شرعية استخدامه هو الفارق الوحيد بين الذين استخدموا العنف في تنظيمي الجهاد والجماعة الإسلامية، وبين الذين أجلوا استخدامه وانضموا لعضوية الإخوان المسلمين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(29) نفس المصدر

(30) نفس المصدر

الفصل الثاني

الشيخ الشعراوي..
أول الدعاة الجدد

من بين العلامات البارزة على طريق تحول المجتمع المصري لمجتمع سلفي، كان الشيخ محمد متولي الشعراوي (1911 - 1998) يقف كعلامة شديدة البروز، إن لم يكن أبرز العلامات، فبجلبابه الريفي وبالطاقية ذات الطابع الخاص، وبلغة ادائه العامية وبشروحه السهلة والبسيطة، وبأسلوبه القائم على إشراك المتلقي وتحفيزه، كان الشيخ الشعراوي هو أول الدعاة الجدد الذين عرفتهم مصر..

وعلى الرغم من أنه كان ابنا للمؤسسة الدينية الرسمية، بل كان أحد رموزها الكبار فإنه في طريقة اختياره لملابسه، وفي لغته التي استخدمها في إلقاء دروسه، اختار أن يتحرر من الزي الأزهري، ومن اللغة المحافظة القديمة، وأن يخاطب الناس بلغة حياتهم اليومية، وأن يبسط لهم التفسير القرآني بشكل لم يسبقه إليه أي من الدعاة أو رجال الدين.

ولم يكن هذا كل شيء، فقد كان الشيخ هو أول داعية يصل للجماهير العريضة من خلال وسيلة اتصال جماهيرية هي التليفزيون الذي كان مقررا في البداية أن يظهر عليه مرتين أسبوعيا ليخاطب الناس، قبل أن يستقر الأمر على ظهوره مرة واحدة(31).

كانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها رجل دين في الشرق الأوسط ليخاطب الجماهير في برنامج يحمل اسمه هو، وكانت التجربة بشكل أو آخر مستوحاة من الولايات المتحدة الامريكية التي عرفت فكرة تقديم رجال الدين كنجوم تلفزيونيين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية(32). كان الشيخ تكرارًا لظاهرة (بيلي جراهام) (1918-2018) أشهر الوعاظ الأمريكيين وأكثرهم تأثيرًا في العالم، الذي كان حتى نهاية الأربعينيات مجرد واعظ محلي يلقي عظاته في كنائس الغرب الأمريكي، لولا أن قرر الإعلام الأمريكي أن يتبناه، بعد أن لفت النظر بخطابه الوطني والمعادي للشيوعية، لقد لعبت المصادفة دورها في أن يستمع له إمبراطور الإعلام الأمريكي (وليام هيرست) الذي كان يملك سلسلة من الصحف والإذاعات ومحطات التليفزيون، لقد أدرك إمبراطور الإعلام أن خطاب بيلي جراهام المعادي للشيوعية هو الخطاب الذي تحتاجه أمريكا وقتها، ورغم أن هيرست لم يلتقي ببيلي جراهام شخصيًا، فإنه أرسل تلغرافًا إلى محرري صحيفته يقول لهم فيه (انفخوا بيلي

جراهام) وكان المقصود بهذا المصطلح تسليط أضواء الإعلام عليه، وفي خلال خمسة أيام أصبح بيلي جراهام حديث أمريكا كلها، واستدعي الأمر أن يبقي جراهام ثمانية أسابيع في لوس أنجلوس تم خلالها تقديمه على أنه واعظ أمريكا القومي، وقد ظل يحمل هذه الصفة طوال حياته المديدة، حيث أصبح مستشارًا روحيا للعديد من الرؤساء الأمريكيين، ووصلت عظاته لـ2.2 مليار شخص بشكل مباشر، وسافر إلى الدول خلف الستار الحديدي، ولعب أكبر الأدوار في التصدي للشيوعية وهزيمتها فيما بعد.

لا يقلل هذا بالطبع من أهمية الشيخ الشعراوي، ولا من الدور الذي لعبه في تغيير المزاج المصري سياسيا واجتماعيا باستخدام الدين.

لقد كان الرجل، بحكم تكوينه السياسي والثقافي خير من يحمل راية العداء للستينيات ولثورة يوليو وللارتباط بالاتحاد السوفيتي.. ولم تكن السياسات المتبعة في السبعينيات تحتاج لأكثر من هذا.

لقد استطاع هذا الداعية، شديد الذكاء المولود لأسرة ريفية بسيطة عام 1911، أن يلعب من خلال الوعظ الديني دورا موازيا لدور الأحزاب والجماعات الدينية التي عرفتها مصر منذ بدايات القرن العشرين، ولا نبالغ إذا قلنا: أن دوره في أحيان كثيرة كان أكثر فائدة وحسما.

لقد كان ذا صفات قيادية منذ كان طالبا في المعهد الأزهري بطنطا، حتى أصبح رئيسا لاتحاد طلاب مصر في نهاية الثلاثينيات، هو شاعر وسياسي، يحب حزب الوفد وينضم لجماعة الإخوان المسلمين وعمره 19 عامًا(33)، وهو يجمع بين الانضمام للجماعة والإيمان بمبادئ حزب الوفد حتى يحدث الخلاف بين الحزب والجماعة فيترك الجماعة عام 1939، مفضلا الاستمرار مع الوفد(34).

بشكل عام، كان الشعراوي طالبا نشطا، وكان شاعرا يكتب الشعر السياسي، وكانت له قصائد في مدح الملك فؤاد وابنه فاروق، لكن موقفه من الملك فاروق تغير فيما بعد(35).

وهو يروي بتلقائية؛ أنه عندما قامت ثورة يوليو أحرق كل قصائده التي كان قد كتبها في مدح رموز زمن ما قبل الثورة حتى لا يحسب من رجال العصر البائد(36)!، لكنه لم يستطع التكيف مع العهد الجديد، وهو يروي كيف كان أول إحباطاته حين تخيل أن الثورة سوف تعيد النحاس باشا لكرسي رئاسة الوزراء، وكيف ذهب لاستقباله في المطار بعد عودته من سويسرا عقب قيام الثورة مع وفد من زعماء الطلاب، ليصارحه السياسي المحنك بالحقيقة وهي؛ أن الوفد لن يعود للسلطة مرة أخرى.

يروي الشعراوي كيف أن لحظة الإحباط السياسي هذه كانت نقطة تحول في حياته من سياسي إلى داعية يؤثر في الناس بطريقة أخرى قائلا: (أتى الله لي بالفرصة كي اتفرغ له على السجادة وأصلي وأقرا القرآن(37)). ويروي الشعراوي لرجب البنا كيف أن الله أرسل له فرصة عمل في البعثة الأزهرية للسعودية لمدة عشر سنوات كاملة من 1952 حتى 1962، وعندما عادت البعثة لظروف سياسية، لم يستطع الشيخ الشعراوي أن يبقى في مصر كثيرا فسافر مع بعثة الأزهر للجزائر عام 1963، وعندما توفي الرئيس عبد الناصر الذي كان قد أصدر أوامره للبعثة الأزهرية بالعودة من السعودية، عقب خلاف سياسي، لم يصبح هناك ما يمنع من أن يعود الشيخ الشعراوي إلى البلاد التي يحبها مرة أخرى ليعمل في السعودية حتى عودته إلى مصر، وهو يشير إلى المغزى من غربته الطويلة بعد قيام ثورة يوليو قائلا: (ربنا رحمني من القرف(38)).

إن هذه التفاصيل تبدو أكثر من مهمة، ونحن نفهم التكوين السياسي لرجل الدين الذي قيض له أن يكون أكثر رجال الدين تأثيرًا في المزاج العام للمصريين، وفي تكوين تصورهم للحياة من بداية السبعينيات وحتى الوقت الحالي.

إننا إزاء رجل ذي مزاج سياسي محافظ للغاية، والأهم من هذا أننا لسنا إزاء عالم ومفسر كبير وفقط، لكننا إزاء ناشط يبشر بدولة إسلامية تطبق فيها الشريعة، وإن كان يختلف مع الجماعات الدينية حول طريقة التطبيق، والمنهج الذي يسلكونه، لكنه أبدا لا يتخلى عن ضرورة حكم الإسلام، لقد خرج الشعراوي من جماعة الإخوان بالفعل، لكنه لم يهجر فكرتها الرئيسية حول تكوين دولة إسلامية، وفي تقديمه لكتاب (حزب الله، وحزب الشيطان) لوائل عثمان مؤسس جماعة (شباب الإسلام) في جامعة القاهرة سنجد أن الشيخ الشعراوي يؤيده في الكثير من آرائه(39) التي تدور حول تقسيم المجتمع المصري إلى حزبين أحدهما مسلم وهو حزب الله، والآخر كافر وهو حزب الشيطان، والأهم أنه في المقدمة يشكر الله على وجود المؤلف وزملائه قائلا: (سبحان الذي حفظ خلايا الإيمان التي لا تعرف الوثنية كيف تبيدها، والتي لا يعرف الاستبداد كيف يفسد جوهرها(40))، وفي المقدمة المتحمسة يصف الشعراوي الكتاب بأنه عمل عبقري، لكن المستشرق الهولندي هانس يانسن(41) يعتبر أن العبقري الحقيقي هو فضيلة الشيخ الشعراوي الذي نشر عشرات الكتب وأصبح وزيرا للأوقاف في حين أن المؤلف الذي قدم كتابه قد نشر ثلاثة أو أربعة كتب أخرى قبل أن يعرف طريقه إلى السجن، رغم أن كليهما يؤمن بنفس الأفكار!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

هوامش الفصل الثاني

(31) "عرفت السادات" تأليف محمود جامع - المكتب المصري الحديث

(32) "دعاة السوبر ماركت" - وائل لطفي - دار العين

(33) مجلة أكتوبر 21-5-2012، مقال رجب البنا

(34) الذي فسر ورأى -الجزيرة وثائقية - يوتيوب - عبد الله الطحاوي

(35) مجلة أكتوبر 5-12-2010، مقال رجب البنا

(36) المصدر السابق

(37) المصدر السابق

(38) المصدر السابق

(39) (الشعراوي والإسلام السياسي) يوهانس يا نسن - جريدة السياسة الكويتية 4-11-2017

(40) نفس المصدر السابق

(41) هانس يانسن من 1942 لـ 2015. مستشرق هولندي عمل مديرا للمعهد الهولندي في القاهرة.

هـو والإخـوان

على عكس ما يعتقد الكثيرون، فإن موقف الشيخ الشعراوي من جماعة الإخوان وكافة جماعات الإسلام السياسي لم يكن موقف عداء، بل نستطيع أن نقول إنه كان يعبر عن اتفاقه معهم في الهدف واختلافه في الطريقة. وحين سأله محاوره الصحفي محمود فوزي في كتاب (الشعراوي من القرية إلى القمة) عن مدى اعتقاده بأن الجبهة الإسلامية في الجزائر يمكن أن تصدر ثورة إسلامية لمصر على غرار ما تقوم به في الجزائر؟ يجيبه بأنه يرحب بأن تصدر لنا الجبهة ثورة إسلامية شريطة ألا يكون هذا بهدف الحكم! لكن بهدف تطبيق شرع الله(42)، ويضيف (هذا هو سبب فشل الإخوان، عندما دخلت في أذهانهم حكاية الحكم بدأوا في الانهيار، ولو سكتوا لكان الحكم جاءهم).

يبدو واضحا أن الشعراوي كان يتبنى فكرة الأسلمة من أسفل، والتغيير الصامت والعميق أيضا للمجتمع، دون نزاع على قمة السلطة، وهو يواصل شرح وجهة نظره قائلا (كان الناس سيقولون مافيش أحسن من الإخوان يحكمونا(43)).

أما حكمه النهائي على الجماعة فهو (الإخوان شجرة ما كان أورف ظلالها.. رحم الله شهيدا استنبتها وغفر الله لمن تعجل ثمرتها).

إننا إزاء رأى واضح لرجل كان يتمنى لو نجح الإخوان في تحقيق مهمتهم، لكنه يختلف معهم في الأسلوب، ويرى أنهم سلكوا طريقا خاطئا. وهو يشرح قائلا (ليست لي مصلحة في الموافقة على ما حدث للإخوان في 54 ولكن المسألة أصبحت سياسة.. فلماذا أقول إن الإخوان على صواب ورجال الثورة ليسوا كذلك؟ ، إنه رأي سياسي في مواجهة رأي سياسي آخر، لكن هل ردوا جميعا إلى الله؟ إن الله يقول (إن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله(44)).

في المجمل النهائي يرى الشيخ الشعراوي نفسه كحكم بين جماعات الإسلام السياسي، وبين الدولة، ولا ينفي هذا أنه يوافق على شعار (الإسلام هو الحل) الذي رفعته جماعة الإخوان المسلمين في الثمانينيات، وجعلته شعارا لها، بل إنه يؤيد شعار الجماعة دون قيد أو شرط، فحين يسأله محاوره عن تفسيره لظهور شعار الإسلام هو الحل.. يجيب بأن الإسلام أصبح هو الحل، لأنه لم يوجد حل إلا هو، لأن كل حلول البشر قد تمت تجربتها لكنها فشلت، فإذا كان كل حلول البشر قد جربت وفشلوا.. فلماذا إذن لا يجربون سيد الحلول، والحل الناجح وهو الإسلام(45)).

إنك تستطيع ببساطة أن تزيل اسم الشيخ الشعراوي من على العبارة السابقة وتضع بدلا منه اسم أي من مرشدي جماعة الإخوان المسلمين أو

مفكري الإسلام السياسي، فهو في سياسته للتوازن بين الدولة، وجماعات الإسلام السياسي يستعير لسان هذه الجماعات وينطق باسمها أحيانا.

وفي تسجيل فيديو على شبكة يوتيوب يحمل عنوان (رأي الشعراوي في فصل الدين عن الدولة) يؤكد الشيخ الشعراوي نفس المعنى قائلا: إن الإسلام جاء لينظم حركة الحياة كلها، وإن الذين يريدون أن يقصروا حركة الإسلام على الشعائر المعروفة والأركان الخمسة يريدون أن يعزلوا الإسلام عن حركة الحياة لصالح لهم.. ويريدون أن يجعلوا من الإسلام مسيحية أخرى تنعزل في المساجد ولا صلة لها بحركة الحياة حتى يضمنوا أن يفسدوا فيها ما شاءت لهم أهواؤهم(46)).

إن الشيخ الشعراوي يقع على قاعدة ذهبية يطلقها ويكررها كثيرا في حواراته ودروسه وهي؛ أنه يريد أن يُحكم بالإسلام، لا أن يحَكم بالإسلام) والكلمة الأولى مضمومة وهي مبنية للمجهول وتعنى أنه يريد تطبيق الشريعة بغض النظر عن شخص وطبيعة من يطبقها، أما الكلمة الثانية والتي تعلو فيها الفتحة حرف الحاء فتعني أنه لا يبالي بأن يكون هو من يطبق الشريعة أو يحكم بها، وكما نري فإن القاعدة الذهبية تتيح مساحة واسعة للمراوغة، فالشيخ لا يبالي بشخص من يطبق الشريعة ويرحب به أيا كان،

الأكثر من هذا أن الشيخ يعتبر أن الحكومات التي لا تطبق الشريعة من مخلفات الاستعمار(47) فالاستعمار زال، لكن آثاره باقية وترك له أعوانًا.. لذلك كان يجب أن نتريث حفاظا على الشمعة، فهي قد لا تنير مكانا واسعا.. سهل أن نكسرها لتنير أكثر).

ويشرح الشيخ الشعراوي فكرته الجوهرية وهي أنه في حالة تطبيق الإسلام فليس شرطا أن يحكم أولئك الذين يطالبون بالدولة الإسلامية قائلا (الإسلام أمين على أن أكون محكوما من أي واحد من أدنى الأرض ورجله على رقبتي وعلى رأسي لأن طالب الولاية حتى لا يولي نقول له ابعد عنا(48)).

هو يرى أيضا أننا لا يجب أن نلوم الجماعات العنيفة على العنف الذي مارسته، لكن نلوم الدوافع التي أدت إلى قيام هذه الحركات.. فالدوافع لم تكن طبيعية، بل هي رد فعل لانحراف بلغ من الجموح والشراسة مبلغا لا يمكن أن يقاوم الا بالشدة(49)! وإذا كان لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، فيجب أن تتحمل بعض المجتمعات الإسلامية تطرف هذه الحركات(50).

إن الشعراوي في هذا المقطع الذي ورد على لسانه يلتمس العذر الواضح لإرهاب الجماعات الدينية، الذي كان يفضل في هذا الوقت المبكر من

التسعينيات أن يسميه (عنفًا) لا (إرهاب). إنه يرى أن ما يمارسونه رد فعل لانحراف آخر لا يقاوم إلا بطريقة الجماعات الإرهابية!

أما في حواره مع صلاح منتصر في صحيفة الأهرام والذي تم بعد شهر واحد من اغتيال السادات فهو يقول: إن الإسلام لا يسمح بالقتل إلا في حالتي القصاص والفساد في الأرض، وكان من اللافت للنظر نشر صورة مصاحبة للحوار للسادات وهو يشرب الشمبانيا احتفالا بتوقيع كامب ديفيد(51)، كأن الصورة تقول للناس إن السادات الذي يشرب الشمبانيا كان يفسد في الأرض!

وفي نفس الحوار يقول إنه لا خالد الإسلامبولي ولا أحد من زملائه أنصار الإسلام.. ليس لأن عقيدتهم فاسدة، أو أسلوبهم خاطئ ولكن لأنهم لم ينتصروا.. إذا لو كانوا أنصار الإسلام لنصرهم الله(52)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(42) الشعراوي من القرية إلى القمة -محمود فوزي

(43) نفس المصدر

(44) نفس المصدر

(45) نفس المصدر

(46) "رأى الشعراوي في فصل الدين عن الدولة" -يوتيوب

(47) نفس التسجيل

(48) نفس التسجيل

(49) الشعراوي بين الدين والسياسة - سناء السعيد

(50) نفس المصدر

(51) يوهانس يا نسن - الشعراوي والإسلام السياسي - السياسة الدولية 4-2017-11

(52) نفس المصدر

لا يجب أن نتغير.. نحن أفضل من الغرب

إلى جانب الدعوة لفكرة الدولة الإسلامية دون حكم (الإسلاميين)، وإلى جانب القدرة الرهيبة على المناورة على التخوم بين دعاة الدولة الدينية وبين نظم الحكم القائمة بالفعل.. كان هناك سبب آخر لذيوع ما يقوله الشيخ الشعراوي، ولولع الناس به.. لم تكن للأمر علاقة بصفاته وسجاياه الشخصية، ولا لقدرته على الاتصال والإقناع.. كانت للأمر علاقة بمحتوى خطابه.. لم يتوقف الشيخ لحظة عن أن يقول للناس.. اطمئنوا.. نحن أفضل من الغرب بكثير.. ففي الدولة الإسلامية مثلا وفي عهد عمر بن الخطاب كان يمكن لعربة محملة بالذهب أن تسير من شمال اليمن إلى آخر الشام دون أن يعترضها أحد(53)! لأن الناس وقتها كانوا نوعين إما خائف من الله فيخاف أكل السحت.. أو خائف من شريعته فهو واقف عند حده لأنه يخاف قطع يده، بينما لو سارت عربة محملة بالذهب عشرة أمتار في الولايات المتحدة فستتعرض لها عصابات المافيا فأين الأمانة في مجتمع متحضر(54)؟ لقد كان تطبيق الحدود على الطريقة السعودية إحدى الأفكار المهمة التي يدعو لها الشعراوي، ويعتبرها تطبيقا لشريعة الله.

ولا يفوت الشيخ أن يجري مقارنة بين الوضع في الولايات المتحدة وبين الوضع في المملكة السعودية حيث كان يعمل.. ففي أمريكا -التي زارها- كان هناك تحذير من أن يحمل نقودا ومن اللصوص بشكل عام.. وكانت هناك نصيحة بعدم مقاومة اللصوص.. أما في السعودية فإن الأمر يختلف تماما لأنهم طبقوا الحدود، وبالتالي استقرت الأمور(55).

وللحقيقة، فقد كان خطاب الشيخ جزءا من خطاب أوسع ساد من السبعينيات حتى التسعينيات يمكن تسميته بخطاب الصحوة الإسلامية، إلا أن الأكيد أنه كان أشهر صناع هذا الخطاب وأكثرهم قدرة على ترويجه، وببعض التدقيق يمكن القول: إن ترويج هذا الخطاب كان قضيته الأولى والرئيسية وليس أي شيء اخر.. في هذا السياق أيضا يخبر محدثه أن الإسلام حقق أهدافه بالفعل منذ ألف عام كاملة كانت الدولة الإسلامية فيها هي الأولى في العالم، وأن المسلمين كان لديهم علم سماوي وعلم مادي يكشف أسرار الأرض كلها(56).

لقد كانت لدى الشيخ الشعراوي ُمسلمة ثابتة يكررها في ثنايا خطابه.. نحن أفضل من الغرب.. والأهم أن الله قد سخر لنا كل هؤلاء المخترعين الغربيين لخدمتنا، وهم بالأساس لا فضل لهم في شيء مما وصلوا إليه(57). بل إن بعض المخترعات التي يخترعها الإنسان وتعد كشفا جديدا للبشرية، يكتشفها الإنسان بمحض المصادفة البحتة، الم يكتشف (الكسندر فيلمنج) البنسلين

بمحض المصادفة أثناء إجرائه لأبحاثه؟ اليس هذا دليلا على عجز العلم ومحدودية علم المخترع؟ هكذا يسأل الشيخ(58).

ويري الشيخ الشعراوي إذن أن المخترعين والعلماء لا فضل لهم، وفي قصتنا هذه فإن الله يسر للمخترع هذا الكشف في وقت معين، ولو لم يكن عاجزا لاخترع بنفسه هذا الاختراع من قبل أو اكتشفه قبل هذا الموعد(59)!

ولا شك أن موقف الشيخ من العلم كان ينسحب أيضا على موقفه من قضية مثل نقل الأعضاء، فهو كان يرفض نقلها حتى لو كان ذلك يؤدي إلى موت المريض وكان يرد على المحتجين قائلا (امنعوا الموت إذن؟).. لماذا تريدون إبعاد المريض عن لقاء ربه ما دامت الغاية في النهاية أن نلقي الله(60)؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(53) الشعراوي من القرية إلى القمة - محمود فوزي

(54) نفس المصدر

(55) نفس المصدر

(56) نفس المصدر

(57) نفس المصدر

(58) نفس المصدر

(59) نفس المصدرs

(60) برنامج من الألف إلى الياء تقديم طارق حبيب - اليوتيوب

النساء في البيت أفضل

كانت مجمل آراء الشيخ الشعراوي في القضايا الاجتماعية آراء رجعية، وكان يلعب ببراعة على نقطة الالتقاء بين التفكير الريفي التقليدي وبين الآراء الوهابية التي كانت وقتها تغزو مصر حديثا، وفي الحالتين كانت طريقته هي الإقناع العقلي لمستمعيه دون الاستناد لنصوص فقهية واضحة، والحقيقة أن ما كان يقوله الشيخ الشعراوي لم يكن بعيدا عن الطريق الذي سار فيه المجتمع منذ سنوات ي، فبعد الستينيات التي شهدت أقصى اندفاعة في طريق عمل المرأة ونوالها حقوقها وتكريس ذلك، جاء الشيخ الشعراوي ليقنع الناس أن المرأة مكانها المنزل، وقد كان أسلوبه في بعض الأحيان صادما، وهو لم يكن يؤمن بحق المرأة في العمل من الأساس فضلا عن حقها في تولي المناصب الرفيعة أو الولاية الكبرى أو الصغرى، وقد أجاب الشيخ الشعراوي بأغرب إجابة يمكن سماعها عن سؤال حول عمل المرأة في القضاء إذا تساءل.. ما الحال لو كانت المرأة قاضية ووقف أمامها شاب جميل ووجيه ومحكوم عليه بالإعدام!.. ماذا يمكن أن يحدث(61)؟

ترك الشعراوي لمن يسمعه تخمين الإجابة، التي تقول إن المرأة كائن قابل للغواية أكثر من الرجل وإنها بالتأكيد ستضعف أمام ذلك المتهم (الجميل والوجيه) فتحكم له بالبراءة.

يشرح الشيخ الشعراوي وجهة نظره بطريقته التبسيطية فيتساءل.. كم توفر المرأة لو جلست في البيت تحيك الملابس والستائر اللازمة للبيت؟ إنها في هذه الحالة ستوفر الكثير من ماهية زوجها(62)، وهو يسوق حجة عقلية أخرى للإقناع بعدم جدوى عمل المرأة.. وهي أن عملها يحرم الأبناء من الرضاعة الطبيعية وهو ما أدي لأن تصبح قلوب الأبناء قاسية على أمهاتهم وأبائهم(63).

أما من الناحية الشرعية فإن المرأة تعمل في حالة الضرورة فقط، كما أن عملها يكون مع محارمها فقط فهي قد تعمل مع أبيها أو أخيها أو زوجها أو أولادها فقط(64).

في نفس السياق، يتساءل عن المرأة التي تذهب للعمل وتعطي للخادمة التي تربي أبناءها مرتبا يفوق مرتبها.. أليس هذا دليلا على أنها تريد أن تخرج لمجرد الخروج.. إنها لا تريد أن تعمل، لكن تريد أن (تتنطط) فقط(65).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الهوامش

(61) الشعراوي من القرية إلى القمة - محمود فوزي

(62) نفس المصدر

(63) نفس المصدر

(64) نفس المصدر

(65) نفس المصدر

الموقف من المسيحيين

لم يكن موقف الشيخ الشعراوي من أصحاب الديانات الأخرى مختلفا عن موقفه عموما، وهو موقف محافظ متسم بلمسة وهابية، ليست لها علاقة بعقيدته الأشعرية وبتكوينه الأزهري بقدر ما لها علاقة بميله السياسي وبالظرف الإقليمي في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وبالسنوات الطويلة التي قضاها في المملكة العربية السعودية، والثابت أن تفسيرات الشيخ الشعراوي للآيات التي تتعرض للعقيدة المسيحية قد سببت نوعا من الضيق لدى أقباط مصر وقد ربط البعض بينها وبين الخلاف بين السادات والبابا شنودة والذي تصاعد في أواخر سبعينيات القرن الماضي، ورغم أنه لم يكن هجوما صريحا فإنه استدعى أن يكتب له الأنبا (جريجريوس) أسقف البحث العلمي رسالة شبه ودية قال فيها إنه سيسأل الشيخ سؤالا يوجهه إلى ضميره الباطن والمستور عن عيون الناس وإنه يود أن يناقش مع الشيخ تعبيرا تكرر منه عشرات المرات في كتاباته ومقالاته في جريدة اللواء الإسلامي وجريدة الأخبار وهو التعبير الذي يناقش فيه الشيخ طبيعة المسيح وهل له أب أم لا(66)).

لكن اللافت للنظر أن يعتبر داعية في حجم الشيخ الشعراوي أن إسلام شابة مسيحية على يديه واحد من أهم إنجازاته فهو يحدث محاوره الصحفي محمود فوزي عن إشهار لاعبة كرة سلة من اصل يوناني تدعي (كارولين) لإسلامها في أكتوبر 1988، بسبب اقتناعها بتفسيره للقرآن الكريم، أما ما أثار اعتزاز المحاور محمود فوزي نفسه وأثبته في حواره الطويل مع الشيخ الشعراوي(67) فهو أن كارولين اختارت يوم 7 يناير، الذي يعتقد أنه يوافق يوم عيد (القيامة)! -عيد ميلاد المسيح- عند المسيحيين كي تذهب ومعها والدتها إلى مديرية الأمن في الإسكندرية، ثم إلى الشهر العقاري ليعلنا إسلامهما عن اقتناع كامل رغم معارضة والدها...(68)).

وعندما يسأله محاوره عن علاقته بالمسيحيين يقول: إن علاقته بهم تحكمها الآية الكريمة (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا).. فإذا خالف المسيحيون هذا الرأي وقتها يكون لهم (الكلام(69)).

وبشكل عام كان موقف الشعراوي من المسيحية ومن الغرب موقفا متماهيا مع خطاب الصحوة الذي ساد في السبعينيات والثمانينيات، وكان الشيخ الشعراوي أحد كبار صناعة، وكان هذا الخطاب يقوم في أحد أركانه على فكرة أفضلية المسلمين على غيرهم بما لا يدع مجالا للشك فهو يقارن بين المسلمين وبين مسيحي الغرب، ويري أن المسلمين تخلفوا حين ابتعدوا عن

الإسلام، بينما تقدم المسيحيون حين تمردوا على الكنيسة وعزلوها، فالعيب إذن في المسلمين وليس في الإسلام).

لكن هذا ليس كل شيء (فالذين يعتنقون الإسلام من الأوربيين هم المفكرون والعلماء فحيث يعمل الإنسان عقله، وفكره لن يجد دينا إلا الإسلام(70)).

وبغض النظر عن التفاصيل فقد أدت تفسيرات الشيخ الشعراوي لإثارة البابا شنودة ودفعته للرد على أعلى مستوى(71)، وهو ما أحدث نوعا من التوتر في العلاقات، لكن هذا التوتر انتهي عام 1994، حين سافر الشيخ الشعراوي للعلاج في لندن أوصى البابا شنودة الأطباء الاقباط ورجال الكنيسة هناك بالعناية به(72) وهو ما أدى لتأثر الشيخ الشعراوي تأثرا كبيرا، وذهابه لزيارة البابا في الكاتدرائية عقب عودته.. حيث استقبله الأساقفة استقبالا حافلا.. لكن هذا لم يمنع اختلافه مع البابا شنودة أثناء المؤتمر الصحفي الذي أعقب لقاءهما، فقد قال البابا شنودة إنه اتفق مع الشيخ الشعراوي على أن الدين لله والوطن للجميع، لكن هذا لم يعجب الشيخ الشعراوي الذي صحح للبابا شنودة قائلا: إن الوطن بغير دين لا يكون وطنا! ثم تلي الآية الكريمة (قالوا فيم كنتم.. قالوا كنا مستضعفين في الأرض.. قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها(73)). وبغض النظر عمَّا حدث فإن العلاقات بعد الزيارة اتسمت بالودية وقال الشيخ الشعراوي للصحفيين إن أثر الزيارة سيظهر فيما بعد، وأهدى للبابا شنودة عشرين جزءا من كتاب لسان العرب لابن منظور. وقد اتسمت العلاقات بالودية حتى وفاة الشيخ الشعراوي ورثاء البابا له. لكن هذا لا ينفي أن تفسيرات الشيخ الشعراوي وتركيزه على نقاط الاختلاف بين المسيحية والإسلام كانت أحد عوامل تسخين المناخ الطائفي في مصر لسنوات طويلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(66) ميدل إيست أون لاين - 13-5-2011. -عرض كتاب الشعراوي والكنيسة - ممدوح الشيخ

(67) الشعراوي من القرية إلى القمة -محمود فوزي

(68) نفس المصدر

(69) نفس المصدر

(70) عمائم وخناجر - إبراهيم عيسي - سفنكس للنشر.

(71) الذي فسر ورأى - الأنبا بسنتي - الجزيرة وثائقية

(72) الذي فسر ورأى - مصطفى الفقي - الجزيرة وثائقية

(73) لقاء الشيخ الشعراوي والأنبا شنودة -فيديو- اليوتيوب الآية 97-98 سورة النساء

هـو والسياسـة

كان الشيخ الشعراوي -كما أسلفنا من قبل- وفديا إخوانيًا، وكان ارتباطه بالإخوان من خلال إعجابه بشخصية الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان، وقد تزامن انتقال جماعة الإخوان من الإسماعيلية للقاهرة عام 1938، مع انتقال الشيخ الشعراوي للقاهرة، بعد أن أنهي دراسته في المعهد الأزهر بطنطا، وجاء للدراسة في الأزهر، ومن الواضح أن العلاقة كانت وثيقة للغاية حتى إن الشيخ الشعراوي صاغ بأسلوبه أول بيان تصدره الجماعة بعد انتقالها للقاهرة(74) ويؤكد الشيخ الشعراوي أن علاقته بالبنا كانت وثيقة للغاية حتى إنه اعتاد اللقاء به مساء كل يوم من العشاء حتى الفجر مما اكسبه عادة السهر الطويل التي لازمته طوال العمر(75).

لم يتعارض انتماء الشيخ لجماعة الإخوان المسلمين وارتباطه بمؤسسها مع وفديته وانتمائه لحزب الوفد في نفس الوقت، وهو يذكر نشاطه في حزب الوفد عام 1937، عقب خروجه من الحكم وإلقائه قصيدة في مدح سعد زغلول ظل يحفظها طوال حياته، وقد كانت القصيدة التي مدح فيها سعد زغلول وخليفته مصطفى النحاس سببا في خلاف بينه وبين حسن البنا الذي عاتب الشعراوي، ودار بينهما نقاش دافع فيه الشعراوي بشدة عن مصطفى النحاس وقال إنه أقرب الزعماء إلى منهج الله وإن سلوكه الشخصي لا ينطوي على أي مخالفة للشريعة، وإنه أولى الزعماء بموالاة الإخوان، لكن ذلك تصادم مع وجهة نظر حسن البنا الذي رأي أن النحاس هو أعدى أعداء الإخوان لأن له ركيزة شعبية، وبالتالي فإنه الوحيد الذي يستطيع أن يسبب المشاكل للإخوان المسلمين، وقد كان الموقف من الوفد هو نقطة الخلاف بين الشيخ الشعراوي وحسن البنا حيث يقول الشعراوي إنه انفصل عن الإخوان منذ عام 1938(76).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(74) رجب البنا -مجلة أكتوبر -5-12-2010.

(75) المصدر السابق

(76) الذي فسر ورأى - الجزيرة وثائقية

العداء لثورة يوليو

لا يمكن فهم موقف الشيخ الشعراوي من ثورة يوليو ومن جمال عبد الناصر بعيدا عن وفديته، وإخوانيته.. وقد عبر عن رفضه بالفعل من خلال رحلة اغترابه الطويلة في المملكة العربية السعودية من 1952 إلى 1963، ثم في بعثة التعريب بالجزائر من 1963 إلى 1970، ثم في عودته للسعودية مرة أخرى عقب وفاة عبد الناصر حتى بدء مرحلة النجومية في حياته عام 1973.

ورغم كثرة الأحاديث التي أدلى فيها الشيخ الشعراوي بتفاصيل عن حياته وسنوات تكوينه المختلفة، فإن غموضا كبيرا يكتنف تفاصيل حياته في السعودية باستثناء قصة واحدة شائعة جرت أحداثها عام 1955، حين علم بنية السلطات السعودية في نقل مقام إبراهيم ضمن أعمال توسعة تقوم بها للحرم، فأرسل برقية طويلة للملك سعود يعارض فيه نقل المقام، فتم الأخذ برأيه(77).

وبحسب صديقه د. محمود جامع فقد استطاع الشيخ الشعراوي التأثير في أوساط النخبة السعودية وفي عدد من امراء البيت المالك السعودي، ودوائر النفوذ السعودية(78). لكن الشيخ الشعراوي نفسه لم يتحدث عن هذه الفترة.

وبسبب الطابع الرسمي للشيخ الشعراوي، وارتباطه بالدولة المصرية، كواحد من علماء المؤسسة الدينية الرسمية، يلزم نفسه بما تلتزم به الدولة، ولا يشق عصا الطاعة عليها، سنجد أن الشعراوي يرثي جمال عبد الناصر عند موته رثاء حارا(79).

أيا كان الأمر فقد كان الشيخ يملك خطابا مضادا لثورة يوليو ولاختيارها الاشتراكي، وللقومية العربية، ولكل ما كان جمال عبد الناصر يمثله على المستوى القومي والوطني، وقد عبر عن رأيه في مصر الناصرية بصورة صادمة وصريحة للغاية حين قال: إنه انفعل حين سمع بهزيمة مصر في عام 1967، فسجد لله سجدة شكر فرحا بالهزيمة وشرح وجهة نظره قائلا: إنه فرح لأن مصر لم تنتصر وهي في أحضان الشيوعية لأنها لو انتصرت وقتها فإن ذلك كان سيسبب للمصريين فتنة في دينهم، لكن انتصر المصريون بعدها وهم بعيدون عن الشيوعية.. أما ما أسعده أيضا في حرب أكتوبر فهو أنها استهلت بشعار الله أكبر وكانت في شهر رمضان(80).

والحقيقة أن الشيخ الشعراوي كان يقدم تفسيرا دينيا يصم المرحلة الناصرية بالبعد عن الدين ويصف المرحلة الساداتية بأنها المرحلة التي تمت فيها العودة للدين، وقد ظلت هذه التصريحات بالتحديد الركيزة المباشرة للهجوم

على الشيخ الشعراوي من بعض الكتاب الناصريين واليساريين الذين لم يستوعبوا أن يعلن الشيخ فرحه في كارثة وطنية مات فيها خمسة عشر ألف جندي مصري.

ولم يقتصر هجوم الشيخ الشعراوي على المرحلة الناصرية على الأسباب السياسية، لكنه هاجم سياسات عبد الناصر في تطوير الأزهر، وقد تسبب هذا في ضجة، أدت إلى ذهاب الشيخ لزيارة قبر عبد الناصر وترحمه عليه والتقاطه للصور أثناء زيارته للضريح وإرسالها للصحف كي تنشرها، وقال في تصريحاته بعد الزيارة: إن عبد الناصر جاءه في المنام ومعه طبيب ومهندس من خريجي الكليات العملية التي تم استحداثها بعد تطوير الأزهر وقال له: يكفيني هؤلاء(81).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(77) الذي فسر ورأى - الجزيرة وثائقية

(78) اليوم السابع - تحقيق حازم حسين -18-11-2018

(79) من الألف إلى الياء - طارق حبيب - يوتيوب.

(80) رجب البنا - مصدر سابق

(81) الشعراوي والفنانات المحجبات - سعيد أبو العينين - كتاب اليوم

هو والسادات

يمكن القول أن العلاقة بين الشيخ الشعراوي والرئيس السادات علاقة مركبة، فقد عاد الشعراوي إلى مصر في عهد الرئيس السادات، وصار من رموز الحياة المصرية في عهده، ولا شك أن خطاب الشعراوي الديني دعم أركان حكم السادات وناصره لأقصى مدى، فقد كان خطابا معاديا للناصرية وللاشتراكية، وداعيا لأسلمة الحياة في مصر دون صراع مع السلطة، وقد كان هذا تأسيسا لمرحلة (الدعوة الجديدة) في مصر.. التي يدعو فيها جزء من السلطة بمعناها الواسع لتديين المجتمع دون صراع مع رأس هذه السلطة أو رغبة في النزاع معها، وقد أسس الشيخ الشعراوي لهذا الخطاب ببراعة واستمر من بعده، فهو لا يخاصم السلطة، لكنه لا يستسلم تماما لتصوراتها الفكرية عن الدين، وإنما ينافح بقوة من أجل تديين المجتمع بالطرق السلمية وغير العنيفة.، في هذا الإطار سنجد أن الشيخ الشعراوي في عهد الرئيس السادات كان الداعم الأول لفكرة الاقتصاد الإسلامي التي شغلت المصريين لعقدين كاملين وأدت في النهاية إلى كارثة شركات توظيف الأموال.. فقد اصدر الشيخ الشعراوي وهو وزير الأوقاف عام 1976 قرار ا بتأسيس بنك فيصل، كأول بنك إسلامي في مصر، ورغم أن الموافقة على تأسيس بنك هو أحد اختصاصات وزير الاقتصاد وقتها د. حامد السايح، فإنه تنازل عن هذا الحق لوزير الأوقاف الشيخ متولي الشعراوي، حيث كان لتأسيس البنك السعودي طابع سياسي وديني لا يخفي على أحد.

سنجد أن الشعراوي أيضا في وقت لاحق هو الذي دعم وحرَّض على ظاهرة تحجيب الفنانات وقام برعاية الكثير منهن ماديا واجتماعيا، نفس الأمر سنجده يقوم به في ظاهرة مثل (بوتيكات) ملابس المحجبات(82).

كانت السبعينيات والثمانينيات هي مسرح الفعل المباشر للشيخ الشعراوي، وإذا عدنا لعلاقته بالسادات سنجد أن مشهد الذروة في علاقته بالسادات كان المشهد الشهير في مجلس الشعب في مارس 1978، حين تقدم البرلماني الشهير عادل عيد باستجواب للشيخ الشعراوي وزير الأوقاف حول الفساد في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ورغم أن الشيخ الشعراوي كان مؤيدا لما جاء في الاستجواب الذي كان يهاجم خصما لدودا له وهو رئيس المجلس الأعلى توفيق عويضة، ولا يهاجمه هو شخصيا، فإن الحديث تطرق للرئيس السادات فرد الشعراوي قائلا (لو كان لي من الأمر شيء لحكمت للرجل الذي رفعنا تلك الرفعة وانتشلنا إلى القمة.. ألا يسال عما يفعل(83)). وقد اعتبر الحاضرون أن الشيخ الشعراوي قد بالغ في التشبيه فانبري له عضو المجلس الشيخ عاشور نصر وكان داعية ذا هوى إخواني قائلا: (اتق الله يا

رجل.. ليس هناك من هو فوق المساءلة) ليردعه الشعراوي قائلا: (اجلس أنا أعلم بالأمر منك(84)).

وقد برر الشعراوي الأمر فيما بعد لغويا فقال: إن (لو) التي استخدمتها في عبارة (لو كان لي من الأمر شيء) هي حرف امتناع الامتناع بمعنى أنه يمتنع عليه أن يكون له من الأمر شيء، ليضع السادات في هذا الموضع الإلهي المعصوم والمنزه(85).

ورغم دفاعه التاريخي عن السادات وهو في منصب الوزارة فإنه فيما بعد بدا غير راض عن الفترة التي قضاها وزيرا.. لكن عدم الرضا هذا كان بعد وفاة السادات بسبع سنوات إذ يجيب على محاوره الصحفي محمود فوزي حين يسأله عن الفترة التي قضاها وزيرا قائلا (أيه وزارة؟ هي بلاء وصبرنا له.. فإن كانت خيرا فقد دخلنا فيه، وإن كانت شرا فقد خرجنا منه(86)).

في نفس السياق يذكر الشعراوي أنه رفض قرارين جمهوريين أحدهما بتعيينه عضوا مؤسسا في جامعة الشئون الإسلامية والعربية وثانيهما باختياره عضوا في مجلس الشوري حين تأسيسه لكنه اعتذر.

واغلب الظن أن موقف الشيخ الشعراوي من السادات لم يختلف إطلاقا عن موقف الإسلاميين بفصائلهم المختلفة حيث بدأت العلاقة بود بالغ انقلب إلى جفاء بالغ بعد زيارة السادات للقدس وتوقيعه لمعاهدة كامب ديفيد وتراجع شعبيته، مع فارق بسيط هو أن الشيخ الشعراوي لم يصدر عنه أي تصريح أو موقف رسمي يفيد العداء لكامب ديفيد باستثناء ما يرويه السياسي محمود جامع عن احتجاج إسرائيل على تفسير الشعراوي لسورة البقرة والآيات التي تتناول الشأن اليهودي، وبحسب رواية جامع فقد أدي هذا لإيقاف إذاعة دروس الشعراوي لبعض الوقت لولا تدخل السياسي عثمان أحمد عثمان لدى الرئيس السادات لإعادة إذاعة حلقات الشعراوي(87).

لكن الشعراوي وجد مخرجا يعفي رجال الدين من تأييد كامب ديفيد أو رفضها، فعندما سأله محمود فوزي عن رأيه في تأييد الأزهر لكامب ديفيد قال: إن هذا فضول من الأزهر أن يبدي رأيه في كامب ديفيد.. والسبب أن السادات لم يدع أنه يحكم حكما دينيا، وما دام لا يحكم حكما دينيا فليس مطلوبا من الأزهر أو من غيره أن يبدي الرأي الديني في تصرفاته(88)

من الروايات الشفهية أيضا التي قيلت بعد وفاة السادات لتوضح زهده في منصب الوزارة واتخذت شكل الملح والطرائف الرواية التي قالت إنه كان يرفض الجلوس على مكتب الوزير وكان يجلس بجوار الباب وعندما سأله أحدهم عن السبب قال إنه يفضل أن يكون قريبا من الباب حتى إذا أبلغ بقرار الاستغناء عنه استطاع أن ينفذه سريعا(89).

ومن الروايات الشفهية أيضا أنه كان معترضا على قانون الأحوال الشخصية الذي تبنته جيهان السادات قرينة رئيس الجمهورية(90)، لكن لم يوجد دليل على هذا الاعتراض، وقد قيل أيضا إن الشعراوي أرسل برقية للسادات يحتج فيها على نعته للداعية المحلاوي بالكلب أثناء خطاب له انفعل فيه وفقد السيطرة على أعصابه، وهو ما وجده الشيخ الشعراوي تجاوزا في حق العلماء الأزهريين، فأرسل برقية للسادات يقول فيها إن الأزهر يخرج علماء ودعاة ولا يخرج كلابا(91).

أما المستشرق الهولندي يوهانس ينسن(92) فيجزم في دراسة له عن الشيخ الشعراوي ومن تحليل حوار له عقب وفاة السادات أنه يبغضه(93).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(82) اليوم السابع - حازم حسين - 18-11-2018.

(83) المصدر السابق

(84) المصدر السابق

(85) الشعراوي من القرية إلى القمة - محمود فوزي

(86) شهادة محمود جامع - الذي فسر ورأى - يوتيوب

(87) محمود فوزي - مصدر سابق

(88) مصدر سابق

(89) مصدر سابق

(90) مصدر سابق

(91) يوهانس يانسن 1942-2015

(92) السياسة الكويتية - يوهانس يانسن (الشيخ الشعراوي والإسلام السياسي) 4-11-2017

(93) شهادة مصطفى الفقي - الذي فسر ورأى

هو ومبارك

قضى الشيخ الشعراوي آخر ثمانية عشر عاما من حياته معاصرا للرئيس مبارك، تحول خلالها من شخص لمؤسسة..، وأسهم في تأكيد الصبغة الدينية للمجتمع من خلال رعايته لظواهر مثل توظيف الأموال والفنانات المحجبات، وتوطيده لعلاقته بالأثرياء ورجال الأعمال الذين كانوا قد بدأوا رحلة صعودهم في سنوات حكم مبارك الأولى، وبالتحديد في العقد الثاني منها، وعلى المستوى الشخصي المباشر، فإن التاريخ لم يسجل سوى موقف واحد دارت أحداثه في عام 1995، حين جرت محاولة لاغتيال مبارك في أديس أبابا، وزاره وفد من كبار رجال الدين لتهنئته كان الشعراوي أحدهم، حيث ألقي كلمة شهيرة قال فيها لمبارك (إنني يا سيادة الرئيس أقف على عتبة دنياي لأستقبل أجل الله.. فلن أختم حياتي بنفاق، ولن أبرز عنتريتي باجتراء ولكنني أقول كلمة موجزة للأمة كلها، حكومة، ومعارضة، ورجالا وشعبا آسف أن يكون سلبيا. يا سيادة الرئيس، آخر ما أحب أن أقول لك: لو كنت قدرنا فليوفقك الله. وإذا كنا قدرك فليعنك الله علينا)، وقد اعتبر بعض المحللين أن الكلمة كانت جريئة وتشير إلى عدم رضاء الشيخ عن الأوضاع(94)، في حين أنها لم تكن سوى موازنة لغوية دقيقة من تلك التي برع فيها الشيخ الشعراوي دائما، وطالما خلب بها الباب سامعيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(94) الشعراوي بين السياسة والدين - سناء السعيد - دار الفتح العربي.

توظيف الأمــوال

كانت شركات توظيف الأموال تجسيدا دقيقا لحالة الأسلمة التي شهدها المجتمع المصري منذ بدايات السبعينيات، وقد ولدت الظاهرة من قلب ظاهرة أخرى هي ظاهرة الاتجار في العملة الأجنبية، أو شراء العملات الأجنبية التي يحولها العاملون المصريون في الخارج بسعر أعلى من سعر الصرف الرسمي، وقد تطورت هذه الظاهرة لتشمل استثمار هذه المدخرات التي يحولها العاملون في الخارج مقابل أسعار فائدة أكثر بكثير من أسعار الفائدة التي تقدمها البنوك المصرية، وقيل إن الأرباح كانت تصل في بعض الأحيان إلى فائدة قيمتها مائة في المائة من اجمالي المبلغ المودع، وقد قامت هذه الشركات على أساس ديني يقول إن الفوائد التي تقدمها البنوك الرسمية هي فائدة محرمة شرعا وتعتبر من قبيل الربا، في حين أن شركات توظيف الأموال تقدم نظاما إسلاميا للمرابحة يقوم على الاشتراك في المكسب والخسارة، وكانت تلك الفتاوي تروَّج ضمن مفهوم أشمل هو مفهوم (الاقتصاد الإسلامي) ولم يكن الشيخ الشعراوي بعيدا عن هذا المفهوم بل لعله كان أكبر المروجين له حتى إنه اعتبر أن المجتمع الذي يحلل الربا هو مجتمع غير إسلامي(95).

فضلا عن إنه كان صاحب الدور الأكبر في تأسيس بنك فيصل الإسلامي حين توليه وزارة الأوقاف عام 1976 فضلا عن كونه عضوا في مجلس إدارته.

أما شركات توظيف الأموال فقد دعمها وأسهم في افتتاح مشاريع بعضها ونشرت صوره في الافتتاح كدعاية مدفوعة لهذه الشركات، وقد أدى هذا لأن يثق الناس أكثر في هذه الشركات وأن يودعوا أموالهم لديها، لكن الأزمة سرعان ما تفجرت عام 1988 حين صدر القانون 146 لتنظيم عمل الشركات، ثم بدأت المطاردة القضائية لبعض أصحابها مثل أحمد الريان صاحب شركة الريان الذي اتهم بعد ذلك في عام 1989 وقضي 21 عاما خلف القضبان في قضايا تتعلق بتوظيف الأموال، وقد وجد الشيخ الشعراوي نفسه طرفا في قضية توظيف الأموال وتوسط لحل مشكلة شركات أحمد الريان لكن وساطته لم تسفر عن حل جدي للموضوع وتجرأت بعض الصحف وهاجمته على غير عادتها معه، وقال الشعراوي فيما بعد إنه لم يكن يعرف أحمد الريان سوى بعد أن ذهب لمنزله طالبا منه التوسط لحل الأزمة، في حين قال إن علاقته بأصحاب شركة أخرى هي شركة الهدي مصر هي علاقة عائلية(96).

وقد استمر الشيخ الشعراوي في الدفاع عن شركات توظيف الأموال وقال إنه سلم الدولة توكيلات محررة من الريان باسم الرئيس ورئيس الوزراء

ومحافظ البنك المركزي، تتيح لهم التصرف في أموال الريان لكنهم رفضوا استخدام هذه التوكيلات.

قال الشيخ إنه لم يستفد من شركات توظيف الأموال وإنه رفض أن تستكمل شركة المقاولات الخاصة بإحدى هذه الشركات بناء الفيلا الخاصة به، واعتبر أن هذا يعني من وجهة نظره أن المصالح شيء والعلاقات شيء آخر(97).

لقد أدت مأساة شركات توظيف الأموال إلى إلحاق الضرر بـ47 ألف أسرة مصرية فقدت مدخراتها في هذه الشركات وظلت أموالها ضائعة لمده عشرين عاما كاملة حين قررت الحكومة المصرية في عام 2006 أن ترد بعض مستحقات هؤلاء المودعين وأن تغلق الملف بالكامل حيث تحصل هذه الأسر على ما لا يزيد على 10 % من قيمة مدخراتها التي أودعتها منذ عشرين عاما املًا في الحصول على أرباح تعينها على حياة أفضل.

وقال رئيس الوزراء أحمد نظيف إن ما تم بيعه من أصول الشركات لا يتجاوز 15 % بما يعني أن الحكومة تكفلت بنسبة 85 % من أموال المودعين، لكن الحقيقة أن المودعين لم يحصلوا سوى على نسب بسيطة من مدخراتهم وكانت تلك إحدى مآسي الطبقة الوسطي المصرية في الثمانينيات، التي استخدم فيها الدين وفتاوى كبار رجاله في خداع البسطاء وجعل حياتهم أسوأ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(95) الشعراوي من القرية للقمة - مصدر سابق

(96) نفس المصدر

(97) نفس المصدر

محجبات في رحاب الشيخ

التأمل في نشاط الشيخ الشعراوي يقود إلى حقيقة، هذا الرجل لم يكن فقط عالما كبيرا، ولا مفسرا لغويا فذا، ولا داعية شهيرا فقط، كان الرجل ناشطا دينيا يضع على عاتقه مهمة رئيسية.

كانت هذه المهمة هي أسلمة المجتمع المصري بأقصى درجة ممكنة، وكانت هذه الأسلمة وفق نزعة وهابية وسعودية واضحة.

في هذا الإطار يمكن أن نفهم نشاطه الكبير في التأسيس لظاهرة الفنانات المعتزلات، وهي ظاهرة عرفتها مصر في أوائل وأواسط ثمانينيات القرن الماضي، حيث أقدمت بعض الفنانات المصريات على اعتزال النشاط الفني وارتداء الحجاب الإسلامي وتحولت كثيرات منهن إلى داعيات إسلاميات، وأدارت بعضهن مشاريع خيرية وتجارية ذات صلة واضحة بالفضاء الإسلامي العام.

لعب الشيخ الشعراوي دور المرشد الديني والراعي لظاهرة حجاب الفنانات واعتزال الفنانين هذه، وكان يقوم بمزيج من الإقناع الديني والرعاية المادية والاجتماعية للفنانات التائبات.

وقد سأله الصحفي محمود فوزي عن المدخل الذي سلكه لإقناع فنانات مثل شادية، وهناء ثروت، وهالة الصافي وغيرهن بالاعتزال وارتداء الحجاب.. فقال الشيخ إنه كان يدخل من مدخل واحد هو تخويف الفنانات من مصيرهن في الشيخوخة وانصراف الأضواء عنهن، حيث كان يضرب لهن مثلا بالفنانة فاطمة رشدي التي كانت لا تزال على قيد الحياة في ذلك الوقت، وساءت أحوالها المادية حتى إنها لم تجد سكنا في أواخر أيامها، وكان الشيخ يستعين دائما بقصة فاطمة رشدي ليقنع الفنانات بأن الاستمرار في الفن حتى أواخر العمر يقود إلى نهاية مأسوية شبيهة بنهاية فاطمة رشدي(98). وعلى ما يبدو فإن فكرة الهرب من المصير المادي المؤلم الذي انتهت إليه فاطمة رشدي، كان مقنعا للكثير من الفنانين والفنانات الذين كونوا فيما بينهم شبكة كان الشيخ الشعراوي يلعب فيها دور الراعي والمرشد الروحي، وبالطبع فإن لكل فنان أو فنانة قصة تختلف عن الأخرى، لكن ما أصبح مؤكدا الآن أن ظاهرة حجاب الفنانات في أغلبها كانت تتم برعاية شخصيات ومؤسسات دينية في المملكة العربية السعودية، وأن الشيخ كان يقوم بنوع من الرعاية المادية للفنانين الذين كانوا يتركون طريق الفن، والحقيقة أن الظاهرة قد اختفت مع تغير السياسات في المنطقة، وفي المملكة نفسها التي أدركت خطورة تنظيمات الإسلام السياسي التي كانت حليفة لها في ذلك الوقت المبكر من سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

كانت الفنانات المعتزلات ولسنوات طويلة مقبلة بعد توبتهن على يد الشيخ الشعراوي، أحد أبرز معالم (الدعوة الجديدة) في مصر.. كن ضلعا في مثلث يتكون ضلعاه الآخران من الدعاة الجدد ورجال الأعمال، وكان الثلاثة يرسمون ملامح مجموعات متدينة ذات وضع اقتصادي واجتماعي مميز لا يناصب السلطة العداء، لكنه يسعي لأسلمتها ولأسلمة المجتمع كله دون تغييره.. كان الشيخ الشعراوي هو من وضع أساس هذه الفكرة، كان أول الدعاة الجدد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(98) الملك والكتابة /محمد توفيق /دلتا للنشر

معركة مع المثقفين

بعد عشر سنوات من ظهوره الأول.. لم يعد الشيخ الشعراوي مجرد داعية.. تحول إلى سلطة معنوية كبيرة، سلطة تحدد من الذي يلتزم بالإسلام ومن الذي لا يلتزم بالإسلام، سلطة تبادر بالهجوم ولا تكتفي بالدفاع، يمكن القول أيضا إنها سلطة للأمر بالمعروف وللنهي عن المنكر دون استخدام للقوة المسلحة.. خاض الشيخ الشعراوي معركته ضد المثقفين المصريين في مارس 1983 ولم تكن مفاجأة أنه أخضعهم جميعا..

بدأت المعركة حين كتب توفيق الحكيم سلسلة مقالات في جريدة الأهرام كان عنوانها (حديث مع الله) وهو ما لم يعجب الشيخ الشعراوي الذي قرر أن يرد على الحكيم في حوار لجريدة اللواء الإسلامي التي كانت الظهير الديني للحزب الوطني الحاكم وقتها.. قال الشيخ للشعراوي للصحيفة (لقد فتحت النار على هذه الحوارات لأنها دعوة للكفر والتطاول على الذات العلية، ولو أن الدولة كانت تحتضن الدين كما احتضنت نظاما، وفرضته لما استطاع واحد مثل هذا الكاتب أن ينال من الدين الحنيف) وأضاف (أن الدين ليس له صاحب في مجتمعنا بدليل أن المنسوبين إلى الدين عندما تعرضوا لنظام الحكم سجنوا(99)).

إن هذه النغمة هي النغمة المفضلة للشيخ الشعراوي، هو يطالب السلطة بأن تكون إسلامية حتى لا يقفز عليها الإسلاميون من خارجها، وهو في مطالبته هذه لا يدين الإسلاميين إدانة كاملة بل إنه كثيرا ما يلتمس لهم العذر.

لقد غضب الشيخ الشعراوي بسبب ما نشره الحكيم، وقرر أن ينقل المعركة إلى ملعب الجمهور وطالب بعقد ندوة تليفزيونية يحضرها هو من ناحية وتوفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وزكي نجيب محمود من ناحية أخرى، واشترط أن تكون على مسمع من المجتمع كله، وسارعت اللواء الإسلامي بسؤال وزير الإعلام صفوت الشريف عن إمكانية عقد الندوة فقال إنه يوافق، وإن هذه الندوات تساعد على تبصير المجتمع بالقضايا الدينية(100).

وسألت الصحف يوسف أدريس عن رأيه في فكرة الندوة، فاندفع للهجوم الذي سيندم عليه فيما بعد، حيث رفض أن يحضر ندوة تستجيب لفكرة من الأفضل؟ وقال إن هذه الفكرة تليق بمراهقي الشعراء وصغارهم حيث كانوا يفعلون مثلما يفعل طلاب الثانوي ويندفعون ليزعم كل منهم أنه الأطول. لكن ذلك الزمن -من وجهة نظر إدريس- مضى وولى وحل الجدل محل التبارز.

وعاد الشيخ الشعراوي ليدافع عن فكرته قائلا: إنه طلب عقد ندوة يحضرها الحكيم وإدريس وزكي نجيب محمود بالتحديد، ويتم إذاعتها على الهواء، لكنهم

هربوا من المواجهة، ورأى الشيخ الشعراوي أنهم ينتمون إلى مدرسة واحدة تدعي الاشتغال بالفكر) وتحدث بلسان الشباب قائلا: (إن الشباب ضاق ذرعا بهذا الاحتيال والتزييف، والنصب، وفقدوا الثقة في كل شيء إلا حكم الله).

وأوضح الشيخ أن هدفه من المناظرة كان (عدم إتاحة الفرصة لأعداء الإسلام لأن يخلو كل منهم لنفسه ليرتب ما يقول وأن الهدف من المواجهة المباشرة معهم ألا يكون لديهم الوقت ليفرغوا ما لديهم من الدعاوى(101).

كان من اللافت للنظر أن الشيخ الشعراوي خاض معركته هذه المرة بشراسة، وهاجم توفيق الحكيم بشكل شخصي واندهش من أنه يتسامى كي يتكلم مع الإله أو يستقبل كلاما من الإله رغم أنه لم يعد صالحا لكتابة المسرحيات أو الروايات، وانتقل بهجومه لزكي نجيب محمود الذي نسب له أنه قال إن حديث (الذبابة) المنسوب للنبي يصيبه بالغثيان، وإن هذا يدل على إصراره على الإساءة للإسلام والمسلمين(102).

وقد شهد نفس توقيت معركة الشيخ الشعراوي مع الحكيم وزكي نجيب محمود دخول يوسف أدريس للمعركة بمدفعية ثقيلة، حيث أجرى حوارا مع صحيفة الشعب هاجم فيه الشيخ، واتهمه بتكفير المثقفين، لكن الشيخ رد وقال إنه لم يرم أحد بالضلال والإضلال أو الكفر(103).

وواصل يوسف أدريس هجومه في مقال له، واتهمه بأنه ممثل هزلي، وأشار إلى تأييد الشيخ لكامب ديفيد ومهادنته للسادات وقوله إنه لا يسأل عما يفعل، وإنه لم يدن مذابح صابرا وشاتيلا وانشغل عن ذلك بإعراب ألفاظ القرآن.

استخدم يوسف أدريس عبارات قاسية أدت إلى هجوم كبير عليه، وإلى رد فعل غاضب من جمهور الشيخ دفعه إلى التراجع، في نفس الوقت الذي كتب فيه توفيق الحكيم ما يشبه رساله اعتذار عن سوء الفهم الذي أدت إليه مقالاته(104)، وتصادف أن مرض بعدها وزاره الشيخ في المستشفى وأسدل الستار على خلاف الشيخ مع المثقفين الذي خرج منه منتصرا بكل تأكيد، ولم يكن غريبا أن يغيب أي انتقاد كبير للشيخ من ساحة الرأي العام المصري سواء في حياته أو بعد مماته، باستثناء بعض الأصوات الشاردة هنا أو هناك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهوامش

(99) نفس المصدر

(100) نفس المصدر

(101) نفس المصدر

(102) نفس المصدر

(103) نفس المصدر

(104) فتوى قتل تارك الصلاة /الشيخ الشعراوي /موقع يوتيوب

عــودة إلى الساحــة

بعد وفاته بما يقرب من 21 عاما، وبعد قيام ثورة 30 يونيو 2013، وبعد خلع الإخوان من الحكم، ونمو حس نقدي تجاه استخدام الدين في السياسة، وبعد سنوات طويلة لم ُيناقش فيها، عاد الشيخ الشعراوي إلى الساحة مرتين، كانت المرة الأولى بسبب ذكرى هزيمة يونيو الثانية والخمسين وتذكر البعض ما قاله الشيخ حول سجوده لله شكرا عقب الهزيمة، وتبريره لذلك بأنه لم يرد لمصر أن تنتصر وهي في أحضان الشيوعية، تفجرت موجة من النقاش العنيف حول الشيخ ومواقفه على شبكات التواصل الاجتماعي، وظهرت للمرة الأولى أصوات ناقدة له تهاجمه بشدة وتتهمه بالتطرف، إلى جانب أصوات أخرى تدافع عنه.

تكرر الجدل مرة أخرى في شهر نوفمبر من نفس العام 2019، بعد أن علقت إعلامية شابة على الشيخ واصفة إياه بالتطرف، أعقب ذلك هجوم كبير عليها، وتصدى آخرون لصد هذا الهجوم وتقدم محام مغمور ببلاغ ضد الكاتب الليبرالي خالد منتصر يتهمه بازدراء الدين الإسلامي والهجوم على الشيخ الشعراوي، وكان من أهم ما حدث هو عودة فتاوى الشيخ للساحة مرة أخرى حيث انتشرت مقاطع يوتيوب مصورة تحمل عددا من الفتاوى التي رأى مهاجمو الشيخ أنها مخالفة لروح العصر، وكان من أشهر هذه الفتاوى الفتوى التي يفتي فيها الشيخ بقتل تارك الصلاة حيث أفتى بأن يسأل تارك الصلاة عن سبب عدم صلاته فإذا كان منكرا لحكم الصلاة من الأساس يقتل حدا، لأنه كافر وليس من مجموع المسلمين، أما إذا قال بأنه لا يصلي كسلا فيستتاب لثلاثة أيام ثم يقتل بعدها إذا لم يصل(105).

بينما كانت الفتوي الأشهر للشيخ هي فتوى عدم جواز نقل الأعضاء، والتي قال فيها إن الإنسان لا يملك نفسه لا كله ولا بعضه وبالتالي فلا يجوز له أن يتبرع بأعضائه لغيره، لأنها ملك لله وليست له: وفي هذه الفتوى التي أطلقها عبر برنامج من الألف إلى الياء، قال الشيخ إن الناس لا يجب أن يرفضوا فكرة موت مريض الفشل الكلوي إذا لم يتم نقل الكلى إليه وتساءل: هل تريدون أن تمنعوا لقاء المريض بربه؟

الأكثر من هذا أن الشيخ طور فتواه في اتجاه منع الغسيل لمرضى الفشل الكلوي وقال إنها تكلف أهل المريض أموالا بلا طائل فضلا عن أنها ترهقهم، هي وجميع أشكال الرعاية المركزة التي تستهدف إطالة عمر المريض دون أمل في الشفاء، وعندما سأله محاوره: هل نترك المريض يموت؟ قال فلتتركه.. واللا أنت تريد أن تمنع الموت؟

كان من الفتاوى التي توقف مهاجمو الشيخ عندها، فتواه بحرمة الاستماع للموسيقى واعتبارها من لهو الحديث الذي يلهي عن ذكر الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هوامش الفصل الثاني

(105) برنامج من الألف إلى الياء /طارق حبيب /موقع يوتيوب

الفصل الثالث

الشيخ كشك..

صوت الغضب الموجه

إذا أمكننا تخيل سنوات السبعينيات كفيلم سينمائي، فلا شك أن شريط الصوت الخاص بهذا الفيلم سيتكون معظمه من خطب الشيخ كشك، إنه صوت السبعينيات الغاضب والمنفلت والموجَّه أيضا نحو أعداء العصر الجديد. والحقيقة أن الشيخ كشك (1933-1996) بكل موهبته في الخطابة، وقدرته على السخرية والإقناع، كان يمكن أن يظل محدود الشهرة لولا اختراع الكاسيت ذلك الشريط المغناطيسي الذي يوضع داخل غلاف بلاستيكي ويمتلك القدرة على تسجيل الأصوات وإعادتها مرة أخرى، لقد عرف العالم هذا الاكتشاف المثير في عام 1960، لكن مصر كان عليها الانتظار حتى منتصف السبعينيات كي تتعرف على هذا الاختراع، وبحسب اجتهادات صحفية، فقد تعرف المصريون لأول مرة على الكاسيت عبر شركات الإنتاج الفني، وقد قال البعض إنه دخل مصر خصيصا من أجل المطرب الشعبي أحمد عدوية، وقال آخرون إنه كان الوسيط الذي حمل ألبوم محمد منير الأول (بنتولد)، أو ربما كان أول شريط كاسيت عرفه المصريون، هو ذلك الذي حمل البوم فرقة (المصريين) الشهيرة والمتمردة أيضا، أيا كان ما حمله شريط الكاسيت الأول فقد اشتركت الانتاجات الثلاث التي أشرنا إليها آنفا في أنها إنتاجات جديدة ومن خارج السياق الفني السائد ولعل هذا هو ما اشتركت فيه أيضا مع الشيخ كشك إمبراطور الكاسيت الديني.. لقد كان الكاسيت في وقت ظهوره وسيلة إعلام خاصة ومتمردة.. إنه وسيلة تواصل خاصة لا تستوجب الحصول على موافقة المؤسسة الرسمية على مضمونها، لقد حدث هذا بكل تأكيد مع شرائط الشيخ كشك التي لم تظهر أبدا كمنتج تجاري يتم إنتاجه عبر إحدى الشركات المعروفة. كانت عملية تسجيل شرائطه تتم بشكل يدوي من خلال محبيه، وكان هناك من يتولى تسجيل خطبه في المسجد، وإعادة طباعتها لتنتشر في جميع أنحاء العالم الإسلامي.. كان الشيخ كشك هو صوت الغضب والخروج عن المألوف.

كل شيء في طفولة الشيخ كشك كان يقود إلى الغضب، لقد ولد لأسرة فقيرة في ريف البحيرة، وذهب النور من عينيه الصغيرتين على التوالي، وتوفي والده لتظهر قسوة العم في التعامل مع أبناء أخيه الذين اختاروا أن يواصلوا التعليم في ظروف صعبة(106). لقد حملت هذه الرغبة في التعليم الفتي الصغير إلى الإسكندرية، حيث كان طالبا في المعهد الديني هناك، ثم

حملته إلى كلية أصول الدين في القاهرة، حيث أقام في رعاية أخ أكبر له يدرس الحقوق وأفاض في مذكراته في وصف معاناته كصبي ضرير حين كان أخوه يتأخر عن موعده اليومي معه لاصطحابه، والهواجس التي كانت تنتابه كصبي ضرير مغترب في القاهرة.

لقد كان التفوق الدراسي هو الطريقة التي قرر أن يرد بها على كل هذه المصاعب وهو يروي أنه كان الأول على دفعته في كلية أصول الدين وأنه خيّر بين الخطابة في المساجد وبين أن يكون عضوا في هيئة التدريس في الجامعة فاختار الخطابة(107).

لقد بدأ الشيخ كشك الخطابة في عام 1961 في أحد مساجد القاهرة لكنه بكل تأكيد كان في احتياج لسنوات السبعينيات الصاخبة وللتحولات الحادة في توجهات الدولة المصرية كي يصبح ما هو عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(106) مذكرات الشيخ كشك - قصة أيامي

(107) نفس المصدر

صوت الغضب الموجه

كان الشيخ كشك هو صوت الغضب الساخر في السبعينيات، ولسبب ما فقد تقاطعت قائمة أعدائه مع قائمة أعداء الرئيس أنور السادات، الذي صار نجما في عهده، ورغم أن الشيخ كشك قد بدأ الخطابة في مسجد صغير في حي (الشرابية) الفقير عام 1961، فإنه لم يعرف طريقه للنجومية إلا في منتصف السبعينيات، ولم يكن الفضل فقط لانتشار (الكاسيت) بقدر ما كان في مناخ الحرية الذي أتاحه الرئيس السادات للإسلاميين بفصائلهم المختلفة.. وكان ذلك بهدف الاستفادة من موقفهم ضد سلفه الرئيس جمال عبد الناصر، ومن القوى اليسارية والقومية التي كانت تناوئ حكم الرئيس الجديد، ورغم أنه لم تكن ثمة علاقة مباشرة بين الشيخ كشك والرئيس السادات، فإن تحليل مضمون خطبه طوال فترة السبعينيات يؤكد أن هذا الصوت الغاضب كان يؤدي دورا في معادلة سياسية.. لقد هاجم الشيخ كشك جمال عبد الناصر، وحدَّث الناس عن الظلم الذي قاد للنكسة، وهاجم أيضا معمر القذافي، وحافظ الأسد، وصدام حسين، في أوقات توتر علاقتهم بالرئيس السادات. الشيخ كشك أيضا هو الذي حدَّث الناس كثيرا عمَّا كان يحدث في معتقلات الستينيات، والاستهتار الذي قاد للنكسة، وصور لهم بصورة درامية باكية اللحظات الأخيرة قبل إعدام سيد قطب، أيقونة الإخوان المقدسة، الشيخ كشك هو الذي روى لجمهور مسجده العريض قصة مؤسس الإخوان حسن البنا، وكيف قتل لأنه كان يريد أن يعيد راية الإسلام لترفرف فوق مصر.

الشيخ كشك أيضا هو الذي أهال التراب على سيدة مثل أم كلثوم كانت بكل تأكيد أيقونة مصرية لسنوات طويله لا سيما في الخمسينيات والستينيات، لقد اكتسب اسم أم كلثوم معنى رمزيا حين طافت العالم تغني بعد نكسة 1967، وتتبرع بعائد الحفلات للمجهود الحربي، إنها صديقة عبد الناصر الشخصية التي لم تتبادل الود كثيرا مع عصر الرئيس السادات، وتحدث الكثيرون عن حالة من الملاحاة والتنافس جمعت بينها وبين زوجته التي حملت لقب سيدة مصر الأولى،.. لكن الشيخ كشك حوَّلها -بسخريته اللاذعة- من أيقونة مصرية لامرأة عجوز تغني للحب وهي في السبعين من عمرها في حين أنها يجب أن تنتظر الموت. ولم يختلف الأمر كثيرا مع عبد الحليم حافظ الذي عرف دائما بأنه صوت ثورة يوليو، لكن الشيخ كشك تساءل حوله في سخرية معلقًا على أغنيته رسالة من تحت الماء، (كيف يتنفس عبد الحليم تحت الماء؟!.. أكانت أمه سمكة؟ أم كان أبوه قرموطا؟).. لقد أهال الشيخ كشك التراب على الفنانين بشكل عام، ولا يعني هذا أنه كان عميلا مباشرًا لنظام السادات، فقد حذا حذو غيره من الإسلاميين، واختلف معه بعد كامب ديفيد، وهاجمه في آخر خطبه قبل اعتقاله في أحداث سبتمبر 1981).

وعلى الرغم من اعتقاله لعامين ونصف العام في أعقاب المواجهة مع الإخوان المسلمين عام 1965، فإنه لم يكن عضوا منظمًا في الجماعة وإن تبنى خطابها وكان إحدى أهم أدوات دعايتها في السبعينيات.

مثل الشيخ كشك نموذجا لداعية (إصلاحي) يعمل داخل المؤسسة الدينية الرسمية كموظف، وإن كان يتمرد عليها وينتقدها أحيانا، لكنه يلتزم بضوابطها ويخضع للتحقيقات أمام مسئوليها.

جلاد الفنانين

كان الشيخ كشك ظاهرة مركبة بكل تأكيد، وقد كان لخطبه أثر كبير في شيوع حالة من العداء للفن والفنانين، يمكن القول إنها استمرت من السبعينيات حتى الآن، ويمكن القول أيضا إن خطابه ضد الفنانين كان مزيجا من السخرية والزراية وإثارة الأحقاد الطبقية ضدهم، أكثر مما هو تحريم فقهي للفن،.. لكن خطابه كان يؤدي في النهاية لتحريم الفن وتحقيره أيضا.

إنه يقيس الفن بمقياس الواقع، فيبدو تافها حقيرا.. فعبد الحليم حافظ عنده ليس سوى مراهق عجوز(108) لماذا؟ لأنه قدم أغنية تحمل اسم (فاتت جنبنا)!، وما هي (فاتت جنبنا) هذه؟ إنها أغنية طويلة عريضة تدور حول معنى تافه، حيث كان لا يعرف هل تضحك له الفتاة أم تضحك لصاحبه ويسخر الشيخ كشك من الحالة التي تجسدها الأغنية ومن حيرة المغني قائلا (حيرة! صراع! قضية الشرق الأوسط!).. ويسأل: هل حرر عبد الحليم القدس؟ هل أعاد الاندلس؟ هل أعاد الجمهوريات الإسلامية؟

إن الشيخ هنا -كما نرى- يقيس الفن بمقياس الواقع فيبدو تافها صغيرا.

اما أم كلثوم، فقد حدث الشيخ جمهوره عنها وعن حادثة تخصها وقعت في نفس أسبوع الخطبة التي كان يلقيها في مسجد عين الحياة بحدائق القبة، قائلا (أم كلثوم كلبها عض شخصا، فذهب يشتكي، فالنيابة حفظت التحقيق! وقالت كلب الست ده ثروة قومية! فالراجل معذور، وقال ما دام كلب الست تبقي حصلت البركة.. الله يبارك.. سبحان الله.. موش كلب الست اللي عضك؟ ده يعتبر وسام شرف.. الكلب فيه ريحة من ريحة الست(109).

إنه هنا يتحدث عن أم كلثوم كصاحبة نفوذ أدى لظلم مواطن عادي، وهو لا يتحدث عن الحكم الفقهي للغناء، ولا يحرم الاستماع إلى أغانيها، لكنه يصمها لدى الجمهور، ويشوه صورتها، ويعبر أيضا عن صوت غضب اجتماعي ساخط على أصحاب النفوذ، ولا يمكن هنا أن نغفل أن صوتا غاضبا آخر ينتمي إلى أقصى اليسار تناول نفس الواقعة وهو الشاعر أحمد فؤاد نجم الذي تناول الواقعة في قصيدة ساخرة هي (كلب الست(110)) كما أنه شارك الشيخ

كشك في موقفه، من فنان آخر هو عبد الحليم حافظ الذي اتهمه باستغلال النفوذ في قصيدة أخرى(111)، والمعني هنا أنه ثمة مكون آخر للغضب بخلاف الأفكار جمع بين كل من كشك ونجم هو الحنق الاجتماعي على الفنانين ذوي النفوذ، رغم اختلاف موقف كلاً منهما الفكري من الفن.

تتصاعد موجة السخط والحقد لدى الشيخ كشك وهو يعلق على وفاة الفنان فريد الأطرش الذي نشرت الصحف تفاصيل تركته فيقول: (وقد امتلأت نفسي دهشة وأنا أقرأ تركة أحد المطربين الذي توفي منذ أسابيع وبلغ من نفاق الصحافة أن أسمته شهيد الفن)، يستنكر الشيخ كشك أن يطلق لقب شهيد على فنان راحل ويسال (أي فن هذا الذي له شهداء؟ أي فن؟ فن يا عوازل فلفلوا.. ما قال لي وقلت له؟) ويمضي الشيخ كشك قائلا: (كانت وصيته أن يبنى له قبر من الرخام بأحد عشر ألف جنيه.. ومنذ يومين سقط بيت على رؤوس ساكنيه.. ماتت الأم وأبناؤها الخمسة تحت سقف بيت منهار وكانوا لا يجدون القوت الضروري في حياتهم(112)).

وكما نرى فإن الشيخ كشك يمارس التحريض ضد الفنان الثري لأقصي درجة، ويقارن بين القبر الذي شيد له وبين بيت الأسرة المنهار، وهو هنا لا يحمل الدولة أي مسئولية تجاه الفقراء بقدر ما يضع مسئولية هؤلاء الفقراء على الفنان نفسه، الذي بنى لنفسه قبرا من الرخام وترك البيت لينهار على رؤوس ساكنيه!

في خطابه، يحرص الشيخ كشك على أن يغازل الفقراء الذين هو واحد منهم (هذه حياة الفقراء في بلدنا يعيشون غرباء ويموتون غرباء، يعيشون لا يجدون الغذاء ولا الكساء ولا الغطاء ولا الدواء، بينما شهيد الفن يوصي بأن يدفن في قبر مصنوع من الرخام الخالص...، ويوصي وصية أخرى هي أن يدفن العود معه.. شيء عجيب.. ما وظيفة العود في القبر؟ إذا سألك الملكان: من ربك؟ أتكون إجابتك عزفا منفردا على العود؟ ما هذا الكلام).

إن الشيخ كشك، الذي يقدم خلطة من التحريم الديني والتحريض الطبقي، لا يختص فنانا بعينه بالهجوم بقدر ما يتخذ موقفا من الفن بشكل عام، ولأن خطبته بمثابة توك شو أسبوعي(113) فهو يعلق على أهم خبر حدث خلال الأسبوع، ويستخدم خلطته -التي لا تخيب- سواء في قياس الفن بمقياس الواقع ليبدو تافها صغيرا، أو في المقارنة بين قضايا الأمة الكبرى وبين ما يطرحه الفنانون على الناس.

ففي إحدى خطبه، يبدو غاضبا وساخرا من تزاحم الناس لمشاهدة فيلم (الباطنية) وهو يحدث الناس قائلا: (لو ذهبت إلى ميدان الأوبرا.. ورأيت سينما اوبرا.. ورأيت أمناء الشرطة يستخدمون الأحزمة، ستسأل: هل صدرت

الأوامر للأمن المركزي بالتحرك إلى تل ابيب؟ هل استعدت المدفعية لضرب إسرائيل الطاغية والباغية؟ إذن ما الذي حدث؟) ويجيب (يقفون طوابير أمام فيلم اسمه الباطنية، حيث تقوم (المربية) الكبيرة نادية الجندي، برص جوزة الحشيش للعبقري البارع محمود ياسين، بطل الأبطال محرر القدس.. فاتح الأندلس.. بطل الأبطال.. وبجانبهما وحش السينما فريد شوقي، يأخذ نفسا طويل التيلة من الشيشة) ويمضي الشيخ كشك في طرح قضايا الأمة الكبيرة في مواجهة الفن الذي يعتبره تافها، قائلا (نعلم أولادنا كيف يشربون المخدرات والمسجد الأقصى أسير.. يرحم الله صلاح الدين.. كان يستحي أن يضحك والمسجد الأقصى أسير(114)).

وكما قلنا من قبل، تتنوع انتقادات الشيخ كشك للفنانين من مختلف الأجيال، وإن كانت اليات الانتقاد واحدة، فها هو في خطبة أخرى له يستنكر أن يحتفل التليفزيون الرسمي بالممثل عماد حمدي.. وهو يلجا لنفس الآلية حيث يقارن بين الحدث الفني، وبين القضايا والرموز الكبيرة للامة فهو يتساءل (التليفزيون العربي يحتفل بميلاد من؟ أبو بكر الصديق؟ عمر بن الخطاب؟ عمر بن عبد العزيز.. التليفزيون المصري يحتفل بعيد ميلاد عماد حمدي رضي الله عنه وأرضاه..)، ويمضي الشيخ في استعراض معلوماته عن الفنان بطريقة ساخرة حتى يصل لفيلمه الأخير وقتها (المذنبون)، وكيف أنه فيلم جنسي صارخ.. ويواصل السخرية من الفنان مقارنا إياه بأبطال المعارك الإسلامية الكبرى).

وفي أحيان أخرى يوجه الشيخ سخريته أو نقده للمجتمع الذي يتجاوب مع الفنانين أو يمنحهم مكانة لا يستحقونها، فها هو في خطبة أخرى من خطبه، يروي كيف أن إحدى الممثلات أعلنت رغبتها في الزواج، ويتساءل (في ظرف ستة أيام.. هل تعلموا كم عريسا تقدم للزواج منها؟ 124 عريسا منهم الطبيب والمهندس والمحامي والثري، والعمدة) ويمضي في عقد مقارنة مثيرة قائلا (الفتيات العاديات لا يتزوجن لأنهن لسن راقصات) ويضيف (قالت سأسافر بعد انتهاء فيلمي إلى لندن وباريس.. وأنا اسال على حساب من؟ على حساب الجياع؟ على حساب العراة.. على حساب القيم؟) وهو لا يتوقف عن عقد المقارنات بين أحوال الفقراء البائسة وبين أحوال الفنانين المترفين والمنعمين وهو في هذه المرة يقارن بين حالة امام مسجد كفيف يعمل في شبرا ويسكن في حلوان ويكاد يهوي تحت عجلات القطار يوميا وبين الفنانة نبيلة عبيد التي تسافر إلى لندن وباريس!)

وفي مرة أخرى، يضع الشيخ علامة تعجب أمام الأجر الذي تحصل عليه الفنانة نيللي، نجمة فوازير السبعينيات، وكيف أنها حصلت على خمسة وأربعين الف جنيه كاملة، بما يعني أنها تحصل على ألف وخمسمائة جنيه في اليوم الواحد)

ويتعجب من أنها تحصل على هذا الأجر في مقابل عشر دقائق يوميا، والجياع يقفون طوابير على أبواب الجمعيات الاستهلاكية). ويتساءل الشيخ كشك في أسى حقيقي (أما كان فقراء المسلمين أولى بخمسة وأربعين الف جنيه تكسي بها عوراتهم، ويسد بها جوعهم، وتوضع بها الأحذية في اقدامهم). إنه يمارس لعبة التحريض الاجتماعي دون أن يلجأ للتحريم الديني بشكل مباشر، وهو مرة أخرى يطرح القضايا الكبيرة على جمهوره ليصل إلى ما يريد بالضربة القاضية، فها هو يخبر جمهوره (بعد أن تقدم الفوازير ستتوجه إلى لندن لتستجم.. فقد فتحت بيت المقدس وأعادته للمسلمين!).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(108) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

(109) نفس المصدر

(110) أحمد فؤاد نجم (قصيدة كلب الست) - الأنباء الكويتية - عدد 7-7-1010

(111) أحمد فؤاد نجم (قصيدة الفوازير) - جريدة فيتو -3-3-2015

(112) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

(113) فارس المنابر - قناة الجزيرة وثائقية

(114) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

صوت الإخوان

إذا كان الهدف من هذه السطور دراسة دور الشيخ كشك في صناعة التزمت والتطرف في المجتمع المصري خلال سنوات السبعينيات، فالأكيد أنه لعب دورا كبيرا، وعلى المستوى السياسي المباشر، كان صوتا دعويا لجماعة الإخوان المسلمين، ومن خلال موهبته في السرد والقص، وعبر عشرات الخطب تحدث الشيخ كشك عن رمزي جماعة الإخوان، حسن البنا وسيد قطب، كما تحدث عن التعذيب الذي لاقته الجماعة في سجون الستينيات، وروج لخطاب المظلومية الذي تبنته الجماعة ولروايات قادتها عن سنوات الاعتقال.

فحسن البنا لديه هو الإمام الشهيد، وهو اغتيل لأنه فهم الإسلام فهما صحيحا، وهذا الفهم الصحيح هو أن الإسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة.. مسجد وقيادة، وعبادة وريادة، فلما علم الشرق والغرب أن هذا الرجل خطير على مصالحه.. كان لا بد من القضاء عليه(115).

وهو يروي أيضا في إحدى خطبه، كيف تم اعتقاله لمدة عامين بعد أن رفض تأييد إعدام سيد قطب، فتم اعتقاله لمدة عامين ونصف العام(116).

وهو يروي في خطبة مؤثرة، كيف تم إعدام سيد قطب، وكيف أنه في ليلة إعدامه رأى الرسول (□) في المنام قائلا (رأى رسول الله (□) وقد دخل عليه زنزانته في السجن الحربي، والرسول راكبًا فرسًا أبيض، ونزل الرسول عن فرسه وصافح الشهيد وشد على يده، وقال: هنيئا لك الشهادة يا سيد، وانقضت الرؤية، فإذا بباب الزنزانة يدق دقا شديدا ويفتح الباب وإذا برئيس الجلادين يقول له: قم الآن واخرج من الزنزانة.. لأن هناك تسكينا لك في زنزانة أخرى.. فقال له الشهيد والله ما هي زنزانة اخري.. إنما أنا متوجه إلى الله.. ما هو تسكين، وما هي بزنزانة، وما هو بسجن.. إنما سأخرج من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، وذهب إلى حبل المشنقة وجاء الجلاد ليربط يديه خلف ظهره، كما يفعلون بمن يحكم عليهم بالإعدام.. فقال الشهيد للجلاد. لمَ تربطني يا هذا.. أتخاف أن أفر من لقاء الله.. إن بيني وبين الجنة خطوات.. إنْ خطوْتها رأيت رب العالمين(117)).

لك بالطبع أن تسأل نفسك.. من الذي أخبر الشيخ كشك عن الرؤيا التي رآها سيد قطب قبل رحيله، أو عن الحوار الذي دار بينه، وبين سجانيه، لكن هذه تبقى ملاحظة جانبية.

وإذا كان حسن البنا وسيد قطب هما شهيد هذه الأمة، فإن سنوات الستينيات هي سنوات الظلم والإهمال اللذين قادا إلى الهزيمة، بل إن الرئيس عبد

الناصر جاء إلى موقعه للقضاء على الإسلام، وتثبيت مكانة إسرائيل في المنطقة، وتمزيق الصف العربي(118).

أما النكسة، فقد حدثت لأننا كنا مشغولين بلعب الكرة، حتى إن قائد الجيش كان رئيسا لأحد النوادي(119) ترك السلاح وانشغل بالكرة، أما في ليلة النكسة نفسها فقد كان الطيارون يقضون ليلة حمراء(120)، وكانوا يحتسون كئوس الخمر!، وكانت الطائرات ترقد على الأرض حتى ضربها اليهود، ومن وجهة نظر الشيخ كشك، فإن الهزيمة حدثت (لأننا نسينا الله في خمسة يونيه، وقلنا إن معنا حديدا ونارا يكفيان لهزيمة أمريكا)، -وهي رؤية متشابهة مع رؤية الشيخ الشعراوي، نجم السبعينيات الآخر الذي قال إنه سجد لله شكرا بعد النكسة، لأن النصر لو حدث كان سينسب للشيوعيين، - إن الشيخ كشك هنا يربط بين النكسة، وبين الغضب الإلهي، حيث تأتي كعقاب على إقصاء الإسلاميين ووضعهم في المعتقلات، ويؤكد الشيخ لجمهوره أن وزير حربية النكسة كان يقود السجن الحربي، حيث كان الشيخ نفسه معتقلا وشاهد عيان. إن وزير حربية النكسة -بحسب رواية الشيخ- (كان يغتصب الزوجات.. فهل ينصر الله هذا الرجل؟ أما السبب الثاني للهزيمة فهو؛ أن (الشيوعيون كانوا متغلغلين في الجهاز الإعلامي ولا يزالون(121)).

إن الشيخ لديه عشرات من القصص التي يختلط فيها السرد بالميلودراما، بالروايات التاريخية الضعيفة، كي يشعر جمهوره بفداحة ما كان يحدث في الستينيات، فهو يؤكد في خطبة أخرى أن (عبد الناصر رفض أن يستمع للشكاوى حول اغتصاب سجينة تبلغ من العمر ستين عاما، ثم طرد من أبلغه(122)، ويقدم رأيه في تصرف عبد الناصر قائلا: (استهتار بالقيم والمسئولية.. سيدة مسلمة يعتدى على عرضها.. والحادث مسجل في الوثائق الرسمية والذي دخل عليه هو (صلاح الشاهد(123))، وأبلغه بما جرى.. وبما سيكون وكانت الإجابة وعيدا وتهديدا وتوبيخا وزجرا ونهرا.

وفي جانب كبير من رواياته عن الستينيات، يتحدث الشيخ كشاهد عيان كان موجودا في سجون النظام بالفعل (كان النظام إذا أراد أن يلقي خطابا ونحن في السجون فإن الإذاعة تعمل في السجون بواسطة مكبرات الصوت، ويدخل الجواسيس من المعتقلين لينظروا من الذي يسمع خطاب الزعيم وهو نائم على ظهره، فيكتب فيه تقريرا بأنه لا يحترم كلام الزعيم.. وكان كلامه كله أجوف.. وكان كلامه كله فارغا.. وكان كلامه يشخشخ فيه الهواء.. كما يشخشخ في رؤوس التماثيل(124).

أما في خطبة أخرى، فهو يروي لجمهوره قائلا: (حضرت في سنة 1965، ورأيت ما رأيت في السجن الحربي من اعتقال النساء، وكان معهن أطفالهن.. وكانت الطفلة الرضيع إذا بكت تقول لها أمها لا تبكي.. لك الله يا

هالة.. لك الله يا هالة، ورأينا نساء يجلدن ويعلقن من أرجلهن ورؤوسهن إلى أسفل، ويهددن في الأعراض، وتطفأ أعقاب السجائر في مواضع العفة منهن(125). ورغم أن هذه القصة وغيرها من القصص لا يوجد دليل عليها فإنها كانت تسهم في رسم صورة مظلمة للستينيات التي يكرهها الشيخ كشك ونظام الحكم الجديد معا فضلا عن أنها رواية متطابقة مع رواية جماعة الإخوان، التي كان الشيخ كشك أهم أصواتها الدعوية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(115) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

(116) كتاب كشك وعدوية - دار بتانة

(117) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

(118) نفس المصدر

(119) نفس المصدر

(120) نفس المصدر

(121) مذكرات الشيخ كشك - قصة أيامي

(122) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

(123) نفس المصدر

(124) نفس المصدر

(125) نفس المصدر

كل أعداء السادات

جزء من الشعبية التي كان يتمتع بها الشيخ كشك في العالم العربي، يرجع إلى أنه لم يقصر انتقاداته على الأحوال في مصر، وإنما كان يوجه جزءًا من نقده للحكام العرب، والملاحظة التي لا تخفي على أحد هي؛ أنه وجه سهام النقد للحكام الذين كانوا على خلاف مع الرئيس السادات نفسه، ولم يحدث أن وجه سهام نقده لحكام الخليج العربي مثلا.. بل طالت سهام نقده حكاما كالقذافي، وحافظ الأسد، وصدام حسين، وهو اختار أن يهاجمهم من باب الدين وليس من باب السياسة، فالعقيد القذافي عنده منكر للسنة، وهو يأسف لذلك قائلا (أسفت لحاكم ليبيا عندما وقف في أحد المساجد، يخطب فيهم ويقول لهم، ستأتي على المسلمين أيام يقدسون فيها محمد، كما يقدس النصارى المسيح، فقالوا له: كيف ذلك؟ فقال: لا تقولوا سيدنا محمد ولكن قولوا محمدا!، ولا تعملوا بسنة محمد فليست لمحمد سنة! ليس هناك البخاري ومسلم) وينطلق الشيخ كشك ليرد على ما افترض أن القذافي قاله قائلا (إذن كيف ترد على قوله تعالي وما آتاكم النبي فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)، وكيف ترد على قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)؟

كيف نصلي.. لو لم نقلد الرسول؟ كيف لا نحترم محمدًا يا عقيد والله يقول إن الله وملائكته يصلون على النبي.. هذا هو عقيد ليبيا(126))، إنه هنا يتهم الرئيس القذافي بتهمة خطيرة هي إنكار السنة، ثم يرد عليه مشعلا حماس الجماهير، ورغم أن الشيخ لم يذكر أين ومتي قال القذافي ما قاله، وكيف اطلع هو عليه.. فإن ذلك لم يمنع الجمهور من التفاعل مع هجائه للعقيد القذافي.

وفي خطبة أخرى يحدث الشيخ كشك جمهوره عن الرئيس السوري حافظ الأسد وعن الجيش السوري (الجبان) الذي ذهب إلى لبنان ليقاتل المسلمين في تل الزعتر، وانضم إلى قوات الصليب لأن قائده حافظ الأسد من أعوان الصليب. ويصفه قائلا: (رجل نصيري بعثي علوي كافر.. ظل يقاتل المسلمين في لبنان 16 شهرا.. بينما ولي مدبرا أمام اليهود في 73 ولم يعقب وترك الجولان كما هي دونما مقاومة، مع أن الخبراء العسكريين قالوا إن أمريكا نفسها لو أرادت أن تأخذ الجولان لما استطاعت، لكن حافظ الأسد باع الجولان لليهود بنصف مليار دولار، وقبض حافظ الأسد وحزب البعث الثمن(127)).

ولا يكتفي الشيخ بهذا ولكنه يخبر جمهوره قصة عن تأسيس حزب البعث.. (أتدرون من الذي أسس حزب البعث؟ رجل يهودي كان يعمل في المخابرات الإسرائيلية اسمه إيلي كوهين.. هذا الإيلي كوهين تقمص شخصية أحد

السوريين، وسمي نفسه كامل أمين ثابت ودخل سوريا وألف حزب البعث وظل يمارس نشاطه(128)) ورغم أن ما يقوله الشيخ كشك يخالف حقائق تاريخية ثابتة حول تأسيس البعث والأشخاص الذين أسسوه، فإنه كان ينال رضا مستمعيه الذين لم يساورهم الشك في دقة معلومات الشيخ التاريخية.

ولم يكن نصيب صدام حسين -حاكم العراق وقتها- بأفضل من نصيب القذافي والأسد حيث وصفه الشيخ كشك بأنه عميل أمريكي يحارب إيران المسلمة(129).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(126) نفس المصدر

(127) نفس المصدر

(128) نفس المصدر

(129) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

شيخ الفتنة الطائفية

كان الشيخ كشك واحدا من الشيوخ الذين أسهموا في اشتعال المناخ الطائفي في السبعينيات، وكان يعتبر أن هناك حالة مواجهة بين المسلمين والأقباط، وأنه ثمة مخطط قبطي للانفصال بدولة مستقلة، وكان يعتبر أنه عدو شخصي للبابا شنودة، ولم يكن موقفه بعيدا عن المزاج الشخصي للرئيس السادات الذي وصلت مواجهته مع البابا شنودة إلى درجة عزله من الكرسي البابوي.. وكانت خطب الشيخ حول المسيحيين تنقسم إلى قسمين.. أولهما خطب يتناول فيها العقيدة المسيحية ويفندها، والقسم الآخر يرسل فيه رسائل سياسية للأقباط، وأحيانا كان يستضيف في مسجده مسيحيين أشهروا اسلامهم، أو يحدث جمهوره عن شائعات يطلقها ضده المسيحيون من ذلك أنه امتنع عن الخطابة لمدة شهر فأطلق عليه المسيحيون شائعة بأنه تنصر بعد أن رد إليه المسيح بصره(130).

وفي خطبة أخرى حدث جمهوره عن الحرب التي يشنها المسيحيون على الإسلام وقال إنهم منذ فتح مصر لم يجرؤوا على المسلمين بمثل ما يحدث الآن.. ودلل على ما يقول بأن المسيحيين كانوا يخشون المسلمين قبل ثورة يوليو، بسبب وجود جماعة الإخوان! حتى إنهم فرشوا مقر شعبة الإخوان المسلمين في إحدى القرى، ليس حبا في الإسلام، إنما خوفا من الإخوان المسلمين(131)، وهي رسالة مزدوجة للجمهور الراغب في الانتصار على المسيحيين بأن عليهم أن يسلكوا طريق الإخوان إذا أرادوا الانتصار في تلك الحرب الطائفية.

في هذا الإطار هاجم الشيخ كشك الكاتب موسى صبري، رئيس تحرير الأخبار والصحفي المقرب من السادات، لأنه دعا إلى تحديد النسل، واتهمه بأنه مسيحي يريد تحديد نسل المسلمين(132).

على كل حال فقد كانت الخطب التي يهاجم فيها المسيحيين، موضوعا لتحقيق إداري تم معه في وزارة الأوقاف عقب أحداث الزاوية الحمراء(133)، كان ذلك إيذانًا بنهاية التعاون بينه وبين نظام الرئيس السادات. حيث استدعاه وزير الداخلية لتحقيق قصير، وتحدث عنه الرئيس السادات في آخر خطاب القاه قبل اغتياله، في الخامس من سبتمبر 1981، وهو الخطاب الذي أعلن فيه الرئيس السادات عن اعتقالات سبتمبر الشهيرة، التي كان الشيخ كشك واحدا من المعتقلين فيها، وإن كان لم يهاجمه، كما فعل مع الشيخ المحلاوي، قبلها بوقت قصير، كان الشيخ كشك قد أقدم على ما لم يفعله من قبل وهاجم الرئيس السادات بالرمز (اتق الله أيها الظالم) لتشمله قوائم المعتقلين في سبتمبر 1981.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(130) نفس المصدر

(131) نفس المصدر

(132) نفس المصدر

(133) فارس المنابر

رجل المعارك

كانت سنوات السبعينيات هي سنوات نجومية الشيخ كشك، فقبلها ومنذ بدء عام 1961، كان خطيبا محليا لا يعرف طريقه لا للمعارضة الصارخة أو تناول الموضوعات العامة، وبنهاية عقد السبعينيات كان ممنوعا من الخطابة حتى وفاته (1996)، وقد لعبت خطبه دورا كبيرا في ارتفاع منسوب التطرف في المجال العام، وتركت أثرا ممتدا حتى الآن.. ومن ناحية العقيدة، لم يكن الشيخ كشك سلفيا، وإن تقاطع مع السلفية، لكنه كان أزهريا إصلاحيا يطالب بالإصلاح من داخل نظام يعترف به، وكان متعاطفا مع جماعة الإخوان المسلمين، وكان من المنطقي والحال هذه، إن يهاجم الجماعات التكفيرية بطريقته الساخرة، وأن يتهم أعضاءها بأنهم لا يعرفون من الدين سوى القشور(134). وبأنهم أصحاب المراهقة الفكرية وبأنهم قرأوا ثلاث صفحات أو ثلاث كلمات من كتب ابن تيمية.

وعلى جانب آخر فقد كان يهاجم شيخ الأزهر ورموز المؤسسة الدينية ويتهمهم بالتفريط في الدفاع عن الدين(135).

وللحقيقة والإنصاف ورغم أن قائمة خصومه تقاطعت مع قائمة خصوم الرئيس السادات وألقت بظلال حول استغلاله لتشويه الفترة الناصرية وتحقيق الأهداف السياسية للدولة فإن هذا لا ينفي أن معاركه امتدت لتشمل أصدقاء الرئيس السادات مثل الكاتب مصطفى محمود والكاتب أنيس منصور.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(134) كتاب كشك وعدوية -دار بتانة

(135) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

معركة مع مصطفى محمود

كانت معركة كشك مع مصطفى محمود، طويلة وممتدة وتتعلق بالتفسيرات العصرية التي كان مصطفى محمود يحاول أن يقدمها للقرآن، والتي كانت تحاول أن تمزج العلم بالإيمان وفقا لاسم برنامجه الشهير.. هذه المحاولة للحديث عن النظريات العلمية، وإيجاد أصل ديني لها.. كانت محل معارضة كبيرة من الشيخ كشك، الذي وصف مصطفى محمود بأنه (دجال).. قائلا: (هناك دجال في مصر يعمل طبيبا وفيلسوفا ومحدثا يبذل مجهودا ليثبت أن الإنسان أصله قرد، والعجيب في الأمر أنه يستشهد بآية من آيات الله (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدء الخلق) ويمضي الشيخ في تفنيد نظرية داروين قائلا: (أمريكا بما لها من مكانة في العلوم، حرمت تدريس هذه النظرية لأنها نظرية لم تثبت بعد..) وبشكل عام فقد كان تطعيم الخطب بشرح (علمي) إحدى السمات المميزة لخطب الشيخ كشك(136)، وهو يمضي في محاولة تكذيب مصطفى محمود قائلا: (الله جعل من اليهود قردة وخنازير فاراد داروين أن يعمم هذا على البشر لأنه يهودي)، ويشرح الشيخ لجمهوره أن القرد يلزم أن يمر عليه 150 مليون عاما ليتطور، أو هكذا قال داروين.. في حين أن العلماء أنفسهم قالوا إن الأرض لم يمر عليها سوى 100 مليون سنة، أما علماء علم نفس الحيوان فقالوا إن أذكي القرود لا يزيد ذكاؤه على ذكاء طفل عمره 4 سنوات، فكيف يصير القرد إنسانا عبقريا ذكيا موحى إليه من الله؟) ويمضي الشيخ كشك في تقريع مصطفى محمود قائلا: (لا ألوم الدكتور الذي كان شيوعيا.. ولما (تأمركت) مصر أصبح أمريكيا، ولو دخلنا مع إنجلترا لأصبح إنجليزيا(137)).

ويعود ليهاجمه في خطبة أخرى بتهمه الإساءة للسنة ولأنه يريد أن يقدم إسلاما عصريا لا يمنع الفنون، والسينما، والمسرح، ويتساءل الشيخ كشك عن ما ذهب إليه مصطفى محمود من أن كلا من الجنة والنار أمر معنوي، ويتهمه بتفسير الإسلام تفسيرًا أمريكيًا بعد أن كان شيوعيا في الماضي، كما يتهمه بأنه تهكم على الله في كتابه (الله والإنسان) وبأنه أباح النظر إلى النساء، في محاولته لتقديم تفسير عصري للإسلام، وعلى عادته في الاقتباسات العلمية يستشهد الشيخ برأي أستاذ للعلوم الجنسية في جامعة برلين -لا يذكر اسمه ولا أين قال ما قال- لكن هذا الأستاذ يقول كلاما يؤيد وجهة نظر الشيخ أمام مؤيديه، وهو نفس ما يفعله الرئيس الفرنسي شارل ديجول، الذي نقل الشيخ لمؤيديه مقولته التي قال فيها: إن الذي هزم فرنسا أمام ألمانيا هم النساء..! الذين يصفهن بأنهن (مارد مدمر خرج من قمقمه).

ويتهم الشيخ د. مصطفى محمود بأنه (مريض بعقدة تسمى كراهية الإسلام وبأنه يأتي بما يقول من نشرات تصدرها سفارة موسكو أو سفارة واشنطن).

ويشير تكرار الهجوم على مصطفى محمود في أكثر من خطبة إلى أن المعركة بينهما كانت ممتدة، وإن كانت من طرف واحد.. حيث عاد كشك في خطبة أخرى ليهاجمه بتهمه الهجوم على اللحية، والدعوة لإسلام عصري، وبأنه يساعد على تشويش عقول الشباب، ويهاجم الأزهر، لأنه غائب عن مواجهة هذه الأفكار.

نستطيع أن نقول: إن خطبة الشيخ كشك الأسبوعية كانت بمثابة برنامج (توك شو) إذاعي، يتعرض فيه بلسان لاذع لكل القضايا السياسية والفنية المعروضة من وجهة نظره. كان دائما معاديا للفن، ويربط بين مستوى حياة الفنانين وبين المظالم الاجتماعية ومعاناة بسطاء الناس، ورغم أنه استهدف بالعداء الكثير من الشخصيات التي ارتبطت بالستينيات، وبالعداء للرئيس السادات، فإنه وسع من نطاق معاركه ليشمل أيضا أصدقاء الرئيس السادات والمحسوبين على عصره، من هذه المعارك معركته مع الكاتب أنيس منصور، التي كانت أيضا في إطار سعي الشيخ كشك لفرض عباءة دينية واسعة على المجتمع، حيث بدأت المعركة عندما انتبهت مجلة أكتوبر التي يرأس تحريرها أنيس منصور، لبدء ظهور الطالبات المنقبات في جامعة القاهرة، فهاجمت الظاهرة، وهو ما لم يعجب الشيخ كشك، الذي وجه سهام انتقاداته للمجلة، وهو ما لم يعجب أنيس منصور الذي هاجم الشيخ كشك في العدد التالي(138) وقال إنه لا يعجبه شيء في البلاد.

وغمز أنيس منصور من قناة الشيخ كشك، مشيرا للأرباح التي تحققها شرائطه، حيث قال ساخرا إنه سمع أن أحد التجار الشطار سوف يؤسس شركة إسطوانات اسمها (كشك فون) على وزن (مصر فون) و(بيضا فون)، وإن كانت هذه الشركة قائمة بغير هذا الاسم، حيث إن كل خطب الشيخ مسجلة وتباع في كل البلاد الإسلامية حتى إنها موجودة في اليابان، وإندونيسيا، والملايو.

وقال أنيس منصور إنه من الخسارة الحقيقية أن يكون مثل هذا الرجل قد سخر لسانه في الهجوم بالحق وغير الحق على أي شيء يقرأه له، كان الهجوم هو الأصل، وبقية خطبة الجمعة شيء ثانوي.

وقد رد الشيخ كشك على اتهام أنيس منصور له بالتربح من عائد بيع شرائطه في الخطبة التالية قائلا: إنه موظف في وزارة الأوقاف، إنه يحصل على راتبه من الوزارة ولا يحصل على مليم واحد من عائد بيع التسجيلات التي لا يعرف من يقوم بها، وقال إنه لو حصل على أموال بخلاف مرتبه، فإنه سيكون بمثابة مال حرام لا يقبل به(139).

والحقيقة أنه لم تظهر خلال حياة الشيخ أو بعد مماته علامات تدل على عدم صدقه، والحقيقة أيضا أن تصريحه يصلح للمقارنة بما ذهب إليه الدعاة الجدد، بعد اختفاء الشيخ كشك بعقدين كاملين من جواز أو ضرورة تكوين الثروة في مقابل العلم الديني.

على أن الشيخ كشك وجه جانبا كبيرا من هجومه للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، سواء وهو رئيس تحرير الأهرام أو وهو خارج الأهرام حيث هاجم انتقاد الأهرام لشيخ الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود، الذي قال إنه حلم بالرسول (□) قبل العبور، وأنه طلب منه أن يبشر الرئيس السادات بالنصر، وغير ذلك من التفسيرات الدينية، حيث نشر الأهرام مقالا بعنوان (معركتنا واللا معقول) أكد فيه أن الجيش المصري انتصر بفضل العلم والتخطيط، وعلق الشيخ كشك قائلا: (نشر هذا الكلام هيكل الذي يقول أنا يساري وطني، ومرة رأسمالي، ومرة اشتراكي... ما دام الكلام يشتري عزبا في (برقاش)، ما دام الكلام يشتري عزب المانجو.. والبرتقال.. والمزارع، والطيور.. ما دامت الاشتراكية سترفعك إلى القمة فهو اشتراكي(140)).

ومرة أخرى، سنجد أن الشيخ يوجه هجومه لرجل من أعداء السادات، وأنه يربط الهجوم بالاتهام بالثراء المبالغ فيه واللعب على وتر معاناة الفقراء.

كان من اللافت للنظر أيضا أن الشيخ كشك كان يوجه هجومه لرموز المؤسسة الدينية، فهاجم الشعراوي وقال إنه قدس السادات ووصفه بأنه لا يسأل عما يفعل(141)، وهاجم الأزهر ودار الإفتاء، كما هاجم الشيخ محمود الحصري، قارئ القرآن الشهير بسبب سماحه لابنته بالغناء، وعلق على خبر يقول إنه اهداها سيارة بويك هدية ساخرا منه(142).

كما هاجم الشيخ محمد حسن الباقوري، لأنه قام بزيارة ودية للأنبا صمويل، اسقف البحث العلمي في الكنيسة القبطية، وقال إن القساوسة والشيوخ شيء واحد، وهو ما لم يعجب الشيخ كشك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(136) نفس المصدر

(137) نفس المصدر

(138) كتاب كشك وعدوية -دار بتانة

(139) نفس المصدر

(140) نفس المصدر

(141) قناة الشيخ كشك - موقع يوتيوب

(142) نفس المصدر

إيقـاظ الأمــة

كانت للشيخ كشك فلسفة يفلسف بها أسلوبه في النقد الجارح والعنيف، وعندما سُئل عن ذلك قال: (اعلم -وفقني الله واياك- أن الناس نيام وفي حاجة لمن يوقظهم وينبههم إلى دين الله، وأن دورنا كدعاة هو خلق حركة دينية تجدد شباب الأمة، وتقودها إلى حيث النهوض، الأمة نائمة..، الذي يتهمني هذه الاتهامات لا يفهم ماذا أقول) ويضيف (إنني أتكلم في الدين الإسلامي الذي من أساسياته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم يسمون النهي عن المنكر تجريحا، لكنه ليس كذلك لأن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس).

أما هجومه على الفنانين، فلم يعتبره الشيخ كشك تجريحا، لكن توجيه وإرشاد حيث يقول (هؤلاء يمثلون أعلى الأصوات في البلاد.. وهم أخذوا كل ما يريدون، وإذا كنت قد تكلمت عن كلمات بعض الأغاني فلأن الكلمة لها وقعها.. فإذا كان عبد الحليم حافظ يصف القدر بأنه أحمق الخطى فهذا خروج عن الإسلام ومنهجه القويم، كذلك هناك أغان ساقطة وكلمات (ساقطة) مثل خذني في حنانك خدني عن الوجود وابعدني.. بعيد.. بعيد وحدينا.. فهذا خروج عن الإسلام، لأنه ما خلا رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما).

ويضيف (من يقول إنني لا ألتزم بآداب الإسلام لم يسمعني، ولم يرني، ولم يصلّ معي لأن مدة الخطبة كانت ساعة ونصف ساعة كل أسبوع، بخلاف الدرس.. طب رايح أشتم قد إيه؟ من يستطيع أن يشتم ساعة ونصف الساعة من كل أسبوع؟ في هذه الحالة أكون متخرجا في كلية الشتيمة، وربنا عرفوه بالعقل، هل يعقل أني لا أتوقف عن (الشتيمة) منذ أن أعتلي المنبر وحتى انزل من عليه، هذا غير معقول).

ويرى الشيخ كشك إن لكل مقام مقال وأن الخطاب القرآني نفسه احتوى على شتائم حيث يقول القرآن (فمثله كمثل الكلب)، و(كمثل الحمار يحمل أسفارا(143)).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(143) كتاب كشك وعدوية -دار بتانة

سنوات الصمت

عاش الشيخ كشك ثلاثة وستين عاما (1933-1996) عمل خلالها داعية أربعين عاما كاملة، لكن سنوات تألقه كانت سبع سنوات (1974 - 1981) منذ ما بعد حرب أكتوبر، وحتى اغتيال الرئيس السادات.. في خلال هذه السنوات قدم الشيخ كشك مائتي خطبة مسجلة، لا تزال مقاطع منها تسمع حتى الآن.. انتهت سنوات لمعان الشيخ كشك التي ساند فيها خطاب السادات، ونفذ أهدافه، وهاجم أعداءه.

جري عليه ما جرى على غيره من الإسلاميين الذين انقلبوا على السادات بعد مبادرة السلام، والثورة الإيرانية، تم اعتقاله في اعتقالات سبتمبر الشهيرة بدعوى المساهمة في إشعال الفتنة الطائفية وهي تهمة ارتكبها الرجل بالفعل.

وقد افرج عن الرجل ضمن من أفرج عنهم عقب اغتيال الرئيس السادات وتولى الرئيس مبارك، لكنه خرج من السجن إلى المنزل، انتهت تلك السنوات السحرية التي كان صوته يجلجل فيها بطريقته المميزة والساخرة، حيث كان يستطيع أن يشعل نيران السخرية في الفنانين والكتاب، ورؤساء الدول، التزم الصمت حتى وفاته عام 1996، حيث اكتفى بتأليف الكتب والرد على طالبي الفتاوي في أوقات محددة عبر هاتف منزله الأرضي، وقد استغل هذه السنوات في تقديم تفسير مكتوب للقرآن الكريم بعنوان (في تفسير القرآن) وفي إنتاج كتب أخرى منها كتاب متواضع القيمة بعنوان (كلمتنا في الرد على أولاد حارتنا) خصصه للهجوم على الكاتب العالمي نجيب محفوظ، بعد فوزه بجائزة نوبل، والحقيقة أن كل الكتب التي قدمها الشيخ كشك، التي بلغ عددها 108 كتب كانت كتبا متواضعة القيمة، ومحدودة الأثر، وإن إنجازه الأكبر على المستوى الجماهيري كانت خطبه النارية الغاضبة التي لعب من خلالها دورا كبيرا في أسلمة المجتمع من أسفل طوال سنوات السبعينيات، وفي زيادة منسوب التعصب الطائفي، وفي تشويه كل الرموز المصرية المرتبطة بفترة الستينيات، وبالحقبة المعادية للإسلاميين، كذلك لعبت خطبه دورا كبيرا في تجميل وجه جماعة الإخوان المسلمين، وإعادة تقديمها للأجيال الجديدة التي لم تعاصر نشأتها، هو اثر امتد حتى الآن دون شك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الرابع

عبد الحليم محمود..
شيخ الأزهر الغامض

لا يمكن الحديث عن أسلمة المجال العام في السبعينيات دون التوقف أمام شخصية شيخ الأزهر د. عبد الحليم محمود (1910-1978) الذي تولى مشيخة الأزهر لمدة خمس سنوات بدأت في مارس 1973، وانتهت في أكتوبر 1978.

لقد تولى د. عبد الحليم محمود، مشيخة الأزهر في وقت تحولات كبيرة في المنطقة، حيث توالت جهود مكافحة الشيوعية في الشرق الأوسط، وبحسب ما ذكره الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه "خريف الغضب" فقد خاض شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، المعركة ضد الشيوعية بدعم من المملكة العربية السعودية، وألف كتابا أو أكثر ضد الشيوعية، كما أشرف على ترجمة كتاب (الإله الذي هوى) وهو يضم كتابات لمفكرين مختلفين حول التنبؤ بسقوط الشيوعية، وحصل على دعم مباشر من المملكة لهذه الجهود، وهو ما اضطر رئيس مجلس الوزراء، ممدوح سالم لطلب دمج هذه المعونات بالعملة الصعبة ضمن الموازنة العامة للدولة في مقابل أن تلتزم الحكومة بتلبية احتياجات المشيخة بالعملة المحلية(144).

وإلى جانب قضية محاربة الشيوعية، التي كانت القضية الأولى له، كان الشيخ عبد الحليم محمود أقرب ما يكون إلى ناشط سياسي إسلامي، أكثر منه إماما للأزهر حيث خاض معارك متتالية لتطبيق الشريعة الإسلامية، وكان يرسل المقالات لمجلة الدعوة لسان حال الإخوان المسلمين في ذلك التوقيت متضامنا مع حملة الجماعة لتطبيق الشريعة الإسلامية، بل إن المجلة نشرت نص رسالة كان قد وجهها لسيد مرعي، رئيس مجلس الشعب، يقول له فيها (إن الله قد حرم الخمر في فندق الشيراتون وشارع الهرم، كما حرمها في بولاق وكلوت بيك) وكان ذلك تعليقا منه على قانون يحرم الخمر في الأماكن والمحال العامة، بل إنه أعد لجانا في مجمع البحوث الإسلامية من أساتذة القانون في الجامعة لتتولى وضع قوانين تضمن تطبيق الحدود الإسلامية وترسلها لمجلس الشعب، الذي كان قد انشغل وقتها بفكرة (تقنين الشريعة).

ولم تكد تمر أول سنة له في رئاسة الأزهر حتى كان قد آثار أولى معاركه حين قال: إن الملائكة شاركت الجنود في عبورهم وقتالهم يوم العاشر من رمضان، وهو ما استدعي أن يرد عليه الأستاذ محمد حسنين هيكل، رئيس

تحرير الأهرام بمقال ينسب فيه النصر للتخطيط والتدريب اللذين قام بهما قادة وجنود الجيش المصري.

ولم يلبث شيخ الأزهر إلا أن دخل في معركة أخرى عام 1974، حيث تقدم باستقالته احتجاجا على تقليص صلاحيات شيخ الأزهر حيث فوجئ بقرار من رئيس الجمهورية يقلص من صلاحيات شيخ الأزهر وينقلها كلها لوزير الأوقاف، وهو ما دفعه إلى الاستقالة، والامتناع عن قبض راتبه، والبقاء في المنزل، وأحدثت الاستقالة دويا إعلاميا ورفع أحد المحامين دعوى حسبة ضد قرار رئيس الجمهورية وهو ما دعا الرئيس السادات لمصالحته وإصدار قرار آخر بتوسيع صلاحيات شيخ الأزهر مع وعد بالإسراع في تقنين الشريعة الإسلامية(145).

كان الشيخ عبد الحليم محمود قادما من خلفية صوفية، حيث درس التصوف في فرنسا، لكن هذا لم يمنعه من الإعجاب بالسلفية والحديث عن منهج يمزج بين الصوفية والسلفية التي كانت وافدا جديدا على مصر وقتها، تأثرا بالوهابية السعودية، وبحالة المد التي كانت تمر بها في العالم الإسلامي، أما جماعة الإخوان المسلمين فقد كانت علاقته بهم علاقة تعاون وتآزر.. وكان الإخوان يعتبرونه واحدًا منهم على حد تعبير نجله د. منيع عبد الحليم محمود(146).

وبحسب شهادة نجله، للكاتبة الكبيرة سناء البيسي، في صحيفة الاهرام، فقد عزم والده -وهو شيخ للأزهر- على تكوين حزب سياسي ديني، وبدأ بالفعل في عقد اجتماعات تمهيدية لتأسيس الحزب، وبحسب الشهادة فإن الرئيس السادات كان يعني والده عندما أطلق عبارته الشهيرة (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة). ولم يكن يقصد جماعة الإخوان المسلمين كما ظن الكثيرون.

وبحسب الشهادة المنشورة في صحيفة الأهرام فقد عدل د. عبد الحليم محمود عن فكرة تأسيس حزب ديني، عندما شعر أنه سيثير المشاكل واستبدلها بالتوسع في تأسيس المعاهد الأزهرية التي ستعطي نفس النتيجة التي يحققها تأسيس حزب ديني(147)).

كان من المحطات المهمة والكاشفة أيضا في مسيرة الرجل؛ ذلك الهجوم الذي شنه على المحكمة العسكرية، التي تولت محاكمة تنظيم التكفير والهجرة، حيث طلبت المحكمة رأي الأزهر في القضية، ولم تعجبها الآراء التي قدمها بعض العلماء فلم تلتفت لها، وطلبت رأيا آخر فلم يصلها، فما كان منها إلا أن ضمنت حكمها لوما للأزهر الذي تقاعس علماؤه عن إبداء رأي الشريعة، وهو ما لم يعجب شيخ الأزهر عبد الحليم محمود الذي أصدر بيانا يهاجم فيه المحكمة، ويتهمها بأنها لم تمكن علماء الأزهر من الاطلاع على

جميع ظروف القضية والاطلاع على الظروف التي أدت لاعتناق المتهمين لهذا الفكر(148)، الأثر الأهم لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود كان في توسيع قاعدة التعليم الأزهري من خلال الدعوة لتأسيس المعاهد الأزهرية في كل قرى ونجوع مصر، وقد تضاعف عدد المعاهد الأزهرية في عهدة مئات المرات ليصل إلى سبعة الاف معهد أزهري مول بناءها من أموال التبرعات من داخل وخارج مصر.

كما كان شيخ الأزهر الوحيد الذي زار الولايات المتحدة الامريكية والكونجرس وقابل الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، وناقش معه طرق التصدي للشيوعية، وطرح عليه فكرة التصدي للشيوعية بالإسلام، وهي فكرة لم يكن الأمريكيون في حاجة للاستماع إليها من شيخ الأزهر، حيث كانوا قد بدأوا تطبيقها قبل لقائه بالرئيس الأمريكي بسنوات، وربما كان وجود الشيخ عبد الحليم محمود نفسه في منصبه أحد تطبيقات هذه الفكرة وتداعياتها(149).

وبحسب تحقيق نشرته جريدة الجمهورية في 1976-11-30، فقد رصدت الجريدة حالة من النشاط الجديد داخل الأزهر من حيث التوسع في قاعدة التعليم الديني بمستوياته الثلاثة (الابتدائي والإعدادي والثانوي) فضلا عن وجود لجان مشتركة من علماء الشريعة وأساتذة القانون الوضعي لمراجعة قوانين الدولة في ضوء الشريعة الإسلامية، ونشرت الصحيفة تصريحات لشيخ الأزهر قال فيها، إنه من الضروري العودة للتشريع الإسلامي لحماية المجتمع من كل ما نشكو منه الآن، وقال أيضا إن الشيوعية واليهودية تآمرتا على إفساد الشعوب العربية والإسلامية بترويج الأفكار الهدامة ونشر العري و(الخنفسية) والتخنث وتفسخ الشخصية(150).

كان من المعارك التي خاضها شيخ الأزهر أيضا؛ معركة قانون الأحوال الشخصية، حيث اقترحت وزيرة الشئون الاجتماعية عائشة راتب، قانونا جديدا الأحوال الشخصية، احتوي على مواد وصفت بأنها منصفة للمرأة. مما دفع شيخ الأزهر لإصدار بيان يهاجم فيه القانون قبل صدوره، فأصدرت الحكومة أوامرها للصحف بالامتناع عن نشره، وعقدت اجتماعا تناقش فيه اعتراضات الشيخ على القانون، وانتهي الأمر للعدول عن تقديم القانون لمجلس الشعب(151).

لم يكن حسن العلاقات مع الكنيسة المصرية من الأشياء التي يحرص عليها شيخ الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود، وبحسب سيرته الذاتية، فقد هدد بالاستقالة حين زاره وزير التعليم مصطفى كمال حلمي عارضا عليه فكرة إصدار كتاب يضم القيم المشتركة بين الدينين المسيحي والإسلامي، حيث أخبره الشيخ أنه سيستقيل احتجاجا على هذه الفكرة إذا تم تطبيقها، وهو ما دفع الوزير لسحب الفكرة من الأساس(152).

وكان من المعارك الشهيرة للشيخ أيضا، معركته مع اليسار المصري حيث أدلى بحوار لمجلة آخر ساعة في 20 أغسطس عام 1975 قال فيه إنه لا يمكن الجمع بين الشيوعية والإسلام وهو ما ادي لأن يشتبك معه عبد الرحمن الشرقاوي، رئيس مجلس إدارة روز اليوسف، والكاتب اليساري المعروف، على صفحات المجلة، نافيا أن يكون اعتناق الأفكار اليسارية من موجبات الخروج من الإسلام(153).

وفي 20-10-1987، وقبل وفاته بقليل، أدلى الشيخ بحوار لجريدة الأهرام، أعاد فيه المطالبة بتطبيق الحدود الإسلامية، وقال إنه مقتنع بأن السرقة سوف تختفي تماما إذا قطعنا يد سارق واحد، وقال إن اللجان التي شكلها في الأزهر انتهت من إعداد الدراسات الخاصة بمطابقة القانون المدني للشريعة وإنها ستنتهي قريبا من الدراسات الخاصة بالقانون الجنائي(154).

وقال إن من ثمار جهود الأزهر في تطبيق الشريعة أن عضوا في مجلس الأمة وهو أحد النواب قدم مشروع قانون لتطبيق أحكام الشريعة وأن رئيس مجلس الشعب قد أعلن أن المجلس سيسير على ضوء توجيهات الرئيس المؤمن أنور السادات بجعل الشريعة المصدر الرئيسي للحكم.

وأضاف شيخ الأزهر أن وزارة العدل ألفت لجانا تعمل على مشروع تطبيق الشريعة الإسلامية وأنها على وشك الانتهاء منه، أما وزير الإعلام فقد اعلن أكثر من مرة أن أجهزة الإعلام لديها توجه بنشر القيم الأخلاقية توطئة لجعل الشريعة الإسلامية مصدرا للقوانين(155).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هوامش الفصل الرابع

(144) خريف الغضب /محمد حسنين هيكل /مركز الأهرام للنشر

(145) موقع المعرفة /عبد الحليم محمود

(146) جريدة الأهرام /23-9-2007

(147) نفس المصدر

(148) موقع المعرفة /عبد الحليم محمود

(149) الأهرام /مصدر سابق

(150) الجمهورية /30-11-1976

(151) الأهرام /مصدر سابق

(152) عبد الحليم محمود - المعرفة

(153) آخر ساعة 20 أغسطس 1975.

(154) الأهرام 20-10-1987

(155) نفس المصدر

الفصل الخامس

الشيخ محمد الغزالي..

راعي الإخوان

على الرغم من أن الشيخ محمد الغزالي (1917-1996) لم يعرف طريقه للشهرة عبر التليفزيون، مثل الشيخ محمد متولي الشعراوي، أو شرائط الكاسيت، مثل عبد الحميد كشك، فإنه واحد من اهم الدعاة الذين رسخوا فكرة الصحوة الإسلامية في سنوات السبعينيات، وفي كتابه المهم (عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على الحركة الإسلامية) يتحدث مؤسس الجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة(156).

عن الدور الذي لعبه الشيخ الغزالي في تكوين كوادر الجماعة الإسلامية وتثقيفهم عبر المعسكرات الصيفية التي كانت تنظمها الاتحادات الطلابية التي تسيطر عليها الجماعة، وقد تحدثت بعض الكتابات عن دور لعبه الشيخ الغزالي مع زميله سيد سابق في تأسيس الجماعة الدينية في الجامعة عقب هزيمة (157)1967، وفي شهادته يتحدث أبو الفتوح عن الدور الذي لعبه الغزالي في التأسيس الفكري لقادة الجماعة الإسلامية قائلا (كان أقرب الشيوخ إلينا، وكان يوجهنا وينصحنا بقراءة كتب معينة) يتحدث أبو الفتوح أيضا عن استعادة الغزالي لعلاقته بجماعة الإخوان المسلمين، وصلاة قيادات الجماعة وكوادرها خلفه في المساجد التي يؤم الصلاة فيها.. إلخ.

استمد الشيخ الغزالي قدرته على التأثير، ليس فقط من مواهبه في الخطابة والتفكير، لكن في كونه أحد قادة المؤسسة الدينية الرسمية، حيث كان مديرا للدعوة والمساجد في وزارة الأوقاف المصرية في وقت، ووكيلا للوزارة في وقت آخر، وبغض النظر عن الوصف الوظيفي فقد كان الشيخ الغزالي أحد قيادات الإخوان الذين انشقوا عن الجماعة بعد عام 1952 أثناء الخلاف بين جمال عبد الناصر وحسن الهضيبي المرشد الثاني للجماعة(158)، وقد اعتبر الشيخ أحد العناصر الإصلاحية التي تعمل داخل مؤسسات الدولة المصرية. وقد ظل الشيخ كذلك طوال سنوات الستينيات بالفعل يلتزم بالدور مع مناوشات مختلفة مع بعض العناصر اليسارية من الكتاب والصحفيين داخل إطار انتماء الجميع للدولة المصرية، لكن ما أن أهلت سنوات السبعينيات حتى راود الرجل الحنين القديم للجماعة واستعاد علاقته بقياداتها الذين خرجوا من السجون، والأهم أنه استغل قدراته الخطابية الهائلة في الترويج لأفكار الجماعة ولتصوراتها عن الدولة الإسلامية المقبلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(156) عبد المنعم أبو الفتوح - شاهد على الحركة الإسلامية /دار الشروق 2009/

(157) الأصولي في الرواية المصرية /المركز القومي للترجمة

(158) الشيخ الغزالي كما عرفته.. رحلة نصف قرن /د. يوسف القرضاوي

تلميذ الإمــام

عندما نتحدث عن محمد الغزالي فنحن نتحدث عن مفكر، وليس فقط عن داعية جماهيري موهوب أو على الأقل فإن هذا ما يراه عدد كبير من معجبيه، وهو كاتب أكثر مما هو خطيب، ولعل هذا ما أستدعي أن يسميه أستاذه حسن البنا (أديب الدعوة) لقد تعرف الغزالي إلى مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في عام (159)1937.

وهو نفس العام الذي تعرف فيه إليه طالب أزهري آخر هو محمد متولي الشعراوي، كان الغزالي طالبا في الصف الأول في كلية أصول الدين، حين تعرف إلى حسن البنا واعتبر نفسه تلميذا له، وقد اجتذب أسلوبه حسن البنا الذي أتاح له المساحة للكتابة في كل المطبوعات التي تصدرها الجماعة، وقد مرت سنواته الأولى في الجماعة هادئة، حيث حصل على شهادة العالمية من الأزهر في عام 1943، وفي أثناء ذلك كان يواصل الكتابة، لم يكن مشغولا بقضايا الفقه، وأصول الدين، بقدر ما كان مشغولا بقضايا الاقتصاد، هكذا اصدر كتابه الأول (الإسلام وقضايا الاقتصاد)، وكما يقول د. يوسف القرضاوي، في كتابه (الشيخ الغزالي كما عرفته.. رحلة نصف قرن) فقد كان الغزالي وقتها مشغولا بقضية العدل الاجتماعي والفروق الطبقية والاقتصادية، ولعل ذلك كان متسقا مع حال مصر في الأربعينيات، واصل الغزالي اهتمامه بالعدل الاجتماعي، وأصدر كتابا ثانيا بعنوان (الإسلام والمناهج الاشتراكية)، وكتابا ثالثا بعنوان (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين(160)).

ظلت الأمور تسير هادئة حتى وقع أول صدام بين الدولة والإخوان المسلمين عام 1948، ليجد الشيخ الغزالي نفسه في معتقل الطور مع عدد كبير من رجال الجماعة، وبعد خروجه واصل دوره في الكتابة في مطبوعات الجماعة، وكان أشهر ما كتبه هو كتاب (من هنا نعلم) الذي سجل فيه معركته مع المفكر الإسلامي خالد محمد خالد الذي الف كتابه الشهير (من هنا نبدأ) الذي هز فيه عددا من الثوابت الدينية المستقرة، ورغم أن الغزالي كان طرفا في المعركة مع خالد محمد خالد فإنه دافع عنه ضد المطالبة بفصله من الأزهر بسبب الكتاب، وقال إن الأزهر لم يفصل على عبد الرازق، صاحب "الإسلام وفصول الحكم"، ولم يفعل نفس الشيء مع عبد المتعال الصعيدي، الذي أنكر الحدود الإسلامية، وبالتالي فلا يجوز للأزهر أن يفصل خالد محمد خالد الذي لم يرتكب جرما أكثر من الذي ارتكبه عبد الرازق والصعيدي(161)).

كان الغزالي يعتبر نفسه تلميذا مباشرا لحسن البنا، ويعتبر أن عليه شرح أفكاره، وقد ألف كتابا بعنوان (دستور الوحدة الثقافية للمسلمين) شرح فيه

بعض أفكار حسن البنا، والأصول العشرين التي جعلها البنا أساسا لوحدة الفهم لدى العاملين للإسلام.

ولم تكن علاقة الغزالي بخليفة البنا على نفس القدر من الانسجام والتآلف، بل على العكس تماما، وقد ظلت العلاقة ساكنة طوال أربع سنوات من 1948 حتي 1952، ألف خلالها الغزالي كتاب (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) وكان ذلك بتكليف من الهضيبي ردا على كاتب قبطي ألف كتابا اتهم فيه المسلمين بالتعصب.

لكن الخلافات سرعان ما انفجرت عقب الخلاف بين النظام الخاص للجماعة، وبين الهضيبي، حيث انحاز أربعة من قيادات الجماعة للنظام الخاص، كان الغزالي واحدا منهم، وبحسب ما يذهب إليه الباحث شريف يونس، في كتابه (سيد قطب والأصولية الإسلامية(162)) فقد كان الموقف من جمال عبد الناصر وثورة يوليو هو السبب الأساسي للخلاف، حيث انحاز الغزالي لصف جمال عبد الناصر ضد الهضيبي، وبحسب ما يذكره القرضاوي، فإن الخلاف كان عنيفا، حيث تم فصل الغزالي مع باقي المنحازين لجمال عبد الناصر، وهو ما رد عليه الغزالي بهجوم عنيف على الجماعة وعلى الهضيبي في مجلة الدعوة، التي كان يملكها صالح عشماوي، وكانت تعبر عن جناح المنشقين.

كان محور هجوم الغزالي على الهضيبي هو؛ الاتهام بالماسونية والإضرار بالدين وهو نفس الاتهام الذي وجهة إلى الجماعة بشكل عام.. جمع الغزالي مقالاته التي هاجم فيها الجماعة في كتابين هما (في موكب الدعوة) و(من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث).. وقد حذف الغزالي بعض المقالات في الطبعات التي تلت عودته للجماعة.

قال الغزالي فيما بعد مبررا هجومه الشديد على الجماعة؛ إنه تلقي تهديدا بالقتل من الجماعة وهو ما دفعه للحديث عن عيوبها تحديا لهذا التهديد(163). ولم يكن الهجوم من طرف واحد، حيث هاجم أعضاء الجماعة الغزالي واتهموه بالإساءة للدين وخيانة نهج الجماعة.

على أن التحولات السياسية التي شهدتها مصر، سواء بعد نكسة يونيو 1967 أو وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وإفراج السادات عن قيادات الإخوان كانت كفيلة بتغيير الوضع. وبحسب ما يرويه القرضاوي في كتابه فقد زار الغزالي حسن الهضيبي في منزله واعتذر له، وحذف بعضا من هجومه عليه وقال في مقدمة كتاب (مواكب الدعوة) بعد أن أعاد طبعه، (في هذه الصفحات مرارة تبلغ حد القسوة، وكان يجب ألا يؤدي الغضب بصاحبه إلى هذا المدي، بيد أن ذلك للأسف ما حدث، وقد عاد المؤلف إلى نفسه يحاسبها وتحاسبه في حديث أثبته آخر هذا الباب).. وفي آخر الباب وثق الغزالي تراجعه عن موقفه

من الهضيبي قائلا (إنه ما ادعي لنفسه العصمة، بل من حق الرجل أن أقول عنه إنه لم يسع إلى قيادة الإخوان، ولكن الإخوان هم الذين سعوا إليه، وإن من الظلم تحميله أخطاء هيئة كبيرة مليئة بشتى النزعات والأهواء، ومن حقه أن يعرف الناس أنه تحمل بصلابة وبأس كل ما نزل به، فلم يجزع، ولم يتراجع وبقي في شيخوخته المثقلة عميق الإيمان واسع الأمل، حتى خرج من السجن، وقد ذهبت إليه بعد ذهاب محنته، وأصلحت ما بيني وبينه، ويغفر الله لنا أجمعين(164)).

والحقيقة أن موقف الغزالي من الهضيبي لم يكن موقفا شخصيا، لكنه كان بمثابة اعتذار منه لجماعة الإخوان المسلمين من رجل في صلب المؤسسة الدينية الرسمية وداعية جماهيري أتيح له فرصة الخطابة في أكبر مساجد مصر (عمرو بن العاص) بقرار سياسي، وفي كتابه (عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على الحركة الإسلامية) يروي عبد المنعم أبو الفتوح أن قادة الإخوان كانوا يصلون خلف الغزالي بعد خروجهم من السجن في 1974، وأن نائب المرشد العام د. أحمد الملط سأله ذات مرة (وماذا عن المستقبل؟) ليرد الشيخ الغزالي (الإجابة لديكم أيضا(165)).

ولا شك أنه بمجرد وفاة عبد الناصر أبدى الشيخ الغزالي التحول اللازم، الذي يمكن وصفه بالانتهازي، حيث حمل راية الهجوم على ثورة يوليو، التي كان واحدا من رجالها في المؤسسة الدينية، بل إنه انحاز لقائدها جمال عبد الناصر في صراعه مع مرشدها العام، وكان مبرره أنه يخشي من دخول الجماعة في معركة غير متكافئة مع رجال الثورة، وقد كان أحد الذين حضروا المؤتمر العام الوطني لمناقشة الميثاق (مايو 1962) وأبدى ملاحظات تم أخذها في الاعتبار، حيث شكل هو وخالد محمد خالد الصوت الإسلامي في المؤتمر لكنه بمجرد وفاة عبد الناصر غير موقفه، وألف عددا من الكتب التي يهاجم فيها التجربة الناصرية، والستينيات برمتها مثل (كفاح دين) و(قذائف الحق)، و(معركة المصحف في العالم الإسلامي) وفي كتابه (كفاح دين) تحدث الغزالي عمَّا اعتبره حربا ضد الإسلام، وذكر إحصاء بالمساجد التي هدمها رجال الثورة بدعوي تجميل القاهرة، ولم يبنوا بدائل له)، كما هاجم أجهزة الإعلام واتهمها بتخريب العقول والضمائر).

وفي كتاب (قذائف الحق) تبني الغزالي الرواية الإخوانية للصراع مع دولة يوليو، ويمكن القول إنه كان أحد مؤسسيها، حيث نشر نصا اعتبره وثيقة نسبها لزكريا محيي الدين وزير الداخلية، وشمس بدران، وزير الحربية في العهد الناصري، وأقرها عبد الناصر، وقال الغزالي إن التقرير كان يوصي بالقضاء على الإخوان، وعلى الروافد الدينية التي تمدهم من التيارات

والفصائل الدينية الأخرى، كما هاجم عبد الناصر واعتبره من الحكام الذين استخدمتهم القوى المعادية للإسلام من صهيونية وصليبية وشيوعية.

ولتبرير هجومه على عبد الناصر بعد انحيازه له، قال الغزالي: إن عبد الناصر خالف تعهده للإخوان أمام قبر حسن البنا، وإنه قبل ثورة يوليو انضم للإخوان هو وكمال الدين حسين في ليلة واحدة، واعتبر الغزالي أن تغيرا رهيبا قد حدث في فكر عبد الناصر ومسيرته جعله في كل نزاع بين الإسلام وطرف آخر ينضم للطرف الآخر(166).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(159) نفس المصدر

(160) نفس المصدر

(161) نفس المصدر

(162) سيد قطب والأصولية الإسلامية /د. شريف يونس

(163) في موكب الدعوة /الشيخ محمد الغزالي

(164) نفس المصدر

(165) عبد المنعم أبو الفتوح- شاهد على الحركة الإسلامية /دار الشروق

(166) كفاح دين /محمد الغزالي

المعركة مع صلاح جاهين

كان الغزالي في الستينيات ممثلا للصوت الإسلامي في دولة يوليو، كان فاعلا وذا تأثير كبير، وفي المؤتمر الوطني الذي عقد لمناقشة الميثاق تحدث الغزالي وأبدى وجهة نظر نقدية، وكانت وجهة نظره أن الأمة يجب أن تستقل في تشريعاتها فلا تكون عالة على غيرها، وأن هذا هو الاستقلال الحقيقي، ومضي الغزالي يتحدث عن ضرورة وجود ما اسماه (الزي الإسلامي) المختلف عن الزي الغربي.

أثار الطرح الذي طرحه الغزالي، صلاح جاهين، نجم ثورة يوليو في الشعر والرسم وداعيتها الأول فسخر من الغزالي في مجموعة رسوم في صحيفة الأهرام حملت اسم (تأملات كاريكاتورية في المسألة الغزالية).

أصدر الغزالي الذي كان مديرا للدعوة والمساجد أمرا لخطباء المساجد بالهجوم على صلاح جاهين والأهرام، وخرجت مظاهرة كبيرة من الأزهر متجهة إلى جريدة الاهرام، التي قال الغزالي إنها رفضت نشر رده على جاهين.

هاجم الغزالي الصحافة التي اعتبر إنها حرفت كلامه، وادعت عليه ما لم يقله، واعتبر أن سبب ذلك هو الحقد على الإسلام الذي يمثله وتحدث عن نفسه قائلا: (الذي يهاجم الآن باسم التقدمية نشرت له في عهد الملكية خمسة كتب تهاجم الأوضاع الفاسدة طبعت مثنى وثلاث ورباع، في الوقت الذي كان هؤلاء وأشباههم يسبحون بحمد فاروق وحاشيته(167).

ولم تكن معركة الزي هي المعركة الوحيدة بين الغزالي وبين جاهين، إذ كانت ثمة معركة أخرى في إطار معارك الغزالي ضد المثقفين بشكل عام، ومعركته ضد جاهين بشكل خاص.

كانت المعركة هذه المرة حول الحملة الفرنسية، وموقف علماء الأزهر منها، حيث كتب جاهين يتهم علماء الأزهر بالهروب أمام نابليون، وقال في قصيدته الشهيرة (على اسم مصر)

زحف الفرنسيس وزحفت قبلهم جواسيس

غايصين بقاعها وعارفين باعها من باريس

وإيش يعمل القاع قصير الباع.. في القمة؟

وإيش تعمل العمة في البرنيطة يا أئمة؟

العمة ما اتكلمت وتن صوتها حبيس!

غير لما مرة البوليس قال نوروا الفوانيس

وده كفر طبعا ولا يدخل لنا في ذمة

إطمن الغرب أن في بلدنا ناس رمة

وانهش يا ديب فينا واقضي بمنتهى الهمة

على اسم مصر

كان جاهين يروي واقعة تاريخية حول مقاومة علماء الأزهر لقرار قادة الحملة الفرنسية بالإنارة الإجبارية للبيوت والحارات، وكان يتهمهم بالتخاذل في مقاومة الحملة سوى في هذه النقطة، وهو ما استفز الشيخ الغزالي، الذي اعتبر أن قصيدة جاهين الشهيرة تحتوي على تعابير سوقية واندهش أن تنشر في الأهرام، وقفز لاتهام جاهين بالكفر مباشرة حين قال (لست أستغرب من منكر لله أن يفتري على خلقه)، واعتبر أن ما قاله جاهين (يستدعي الكي) لا التكذيب المعتاد، واتهم الغزالي جاهين بتزوير وقائع التاريخ، حتى يثبت أن الدين أفيون الشعوب، وانطلق الغزالي ليرد على جاهين ويهاجم القومية العربية، ويكفر جاهين مرة أخرى مستنكرا أن يكون مسلما حيث يقول (إن هؤلاء بداهة ليسوا مسلمين فهل هم عرب كما يوصفون أو يتصفون؟)، ويجيب بالنفي قائلا (كلا.. إن هؤلاء سواء كانوا أجراء، أم مخلصين.. أفضل لإسرائيل من كل أسلحة الدنيا التي ترد إليها) وهو ما يعني أنه لم يكفر جاهين دينيا فقط، لكن وطنيا أيضا(168).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(167) الشيخ محمد الغزالي كما عرفته/د. يوسف القرضاوي

(168) نفس المصدر

رياح السبعينيات

ما إن أتت رياح السبعينيات، حتى اتسعت المساحة الممنوحة للشيخ محمد الغزالي، وكان ذلك على يد د. عبد الحليم محمود، وزير الأوقاف وشيخ الأزهر فيما بعد، الذي كان يعتبر نفسه واحدا من الإخوان المسلمين، ولعب دورا مؤثرا في التنسيق مع المملكة العربية السعودية والحصول على تمويل مباشر منها لتمويل أنشطة الأزهر(169)، فضلا عن أنه كان أول شيخ أزهر يقابل رئيسا أمريكيا ويناقش معه التصدي للشيوعية في الشرق الأوسط.

في كتابه عن الغزالي يروي د. يوسف القرضاوي قصة ذات بعد غيبي ومفادها؛ أن وزير الأوقاف استدعي الشيخ الغزالي في بداية السبعينيات، وأخبره أن الصحابي عمرو بن العاص أتاه في منامه يشكو من هجر مسجده وإهماله، وطلب الوزير من الشيخ أن يتولى الخطابة بجامع عمرو، وتم تجديد المسجد بالفعل وأعيد افتتاحه، واجتذب له الشيخ الغزالي آلاف المصلين.. ولسنوات طويلة ظل مسجد عمرو بن العاص أحد مراكز تجمع الإخوان المسلمين في مصر.

بحلول نهاية السبعينيات والخلاف بين الرئيس السادات والإسلاميين، عقب كامب ديفيد، لم تعد نفس المساحة ممنوحة للشيخ الغزالي أو هكذا اعتبر هو، فسافر للتدريس في المملكة العربية السعودية.

لكن السنوات التي عمل فيها الغزالي في مصر منذ وفاة عبد الناصر حتى سفره، كانت أكثر من مؤثرة، فرغم أنه لم يعد تنظيميا لجماعة الإخوان المسلمين فإنه كان واحدًا من أهم مفكري الجماعة، والمبشرين بالدولة الإسلامية، وكان يفعل ذلك بلغة سهلة تصل إلى آلاف المصلين، فضلا عن أنه كان يفعله مدعوما بسلطة الداعية ورجل الدين بما لها من تأثير في نفوس المسلمين، وكان أحد الأدوات الأساسية للتمكين للفكرة الإسلامية هي هدم الأيديولوجيات الأخرى التي كانت موجودة في سوق الأفكار أو ممثلة بشكل أو بآخر في مؤسسات الدولة المصرية، وكما يرى د. يوسف القرضاوي فإن المشروع الفكري للغزالي كان محاربة القوى التي اعتبرها معادية للإسلام، وهكذا كان معاديا للحضارة الغربية التي وصفها بالمادية، والإباحية، والعنصرية، ومحاولة السيطرة على الحضارات الأخرى، وهكذا كان عليه أيضا أن يكون ضد العلمانية التي يعتبرها تعارض حاكمية الله في خلقه، وسيادة الشريعة على الناس، وتعزل الدين عن الحياة.

ولكي يفسح الغزالي الطريق للفكرة الإسلامية التي آمن بها، كان عليه أن يهاجم المثقفين الذين لا يؤمنون بهذه الفكرة، والحقيقة أن مواقفه ضدهم

كانت تتجاوز الهجوم إلى التكفير المباشر في كثير من الأحيان، وهو ما من شأنه أن يجعلنا نعيد النظر في الصورة التي استقرت للشيخ كداعية معتدل.

دخل الغزالي في معارك متواصلة مع مثقفين مثل محمد سعيد العشماوي، ونصر حامد أبو زيد، وفرج فودة، وقد عبر عن تكفيره الصريح لهم قائلا: (لمَ لا نسمي هؤلاء بأسمائهم الحقيقية.. (المرتدون).. فهؤلاء قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، لم يعد في قلوبهم توقير لله تعالى، ولا تعظيم لكتابه، ولا احترام لرسوله، ولا توقير لشريعته! ثم يتساءل الغزالي (لماذا يحرصون على أن يحتفظوا باسم الإسلام، والإسلام منهم براء)، ويمضي ليصفهم ب (نباتات سامة في حقول الإصلاح(170)).

وقد وثق الشيخ الغزالي رأيه أثناء شهادته في محاكمة قتلة فرج فودة، التي جرت وقائعها في 8 يونيو 1993، التي شملتها اجابته على 11 سؤالا وجهتها له المحكمة، حيث سأله القاضي عن معنى القول بأن الإسلام دين ودولة؟ فرد الغزالي بأن الإسلام دين الفرد والمجتمع، والدولة، وأنه ما ترك شيئا إلا وتحدث فيه ما دام هذا الشيء يتصل بنظام الحياة وشئون الناس)، وسألته المحكمة: هل تطبيق الشريعة الإسلامية واجب؟ فتلا الغزالي الآية (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).. وسألته المحكمة: ما حكم من يجاهر برفض الشريعة الإسلامية إستهزاء؟ فرد الغزالي كانت الشريعة الإسلامية تحكم العالم العربي الإسلامي كله، حتى دخل الاستعمار العالمي الصليبي، فألغي أنواع القصاص وأحكام الشريعة وأنواع التعازير والحدود، وحكم الناس بالهوى فيما يشاءون، وصحب الاستعمار العسكري استعمارا ثقافيا مهمته جعل الناس يطمئنون إلى ضياع شريعتهم، وتعطيل احكام الله من دون أن يتبرموا).. وسألته المحكمة السؤال الرئيسي حول حكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة جحودا أو استهزاء؟ فقرأ الغزالي الآيات (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، وفي آية أخرى (الظالمون)، وفي آية ثالثة (الفاسقون) -وهي نفس الآيات التي استند لها سيد قطب وتلاميذه من التكفيريين في تبرير الخروج على الحاكم -ومضي الغزالي يقول: إن الدعوة لاستبدال حكم الله بشريعة وضعية هو كفر يخرج صاحبه من الملة، وأضاف أن رفض الحكم بما انزل الله مخرج من الملة، وعندما سألته المحكمة عن حكم المرتد شرعا أجاب (أن يستتاب وإذا لم يرجع يقتل، وأضاف.. أما في رأيي الشخصي، فيجوز للحاكم إذا أراد أن يسجنه سجنا مؤبدا، ولو فر مرتدا إلى خارج البلاد، فليذهب إلى الجحيم، ويكون المجتمع بريئًا منه، أما بقاؤه في المجتمع فهو خطر على الأمة، ويجب أن يجهز عليه، وعلى الحاكم أن يقتله، وأضاف (من يملك إيقاع الحد على المجتمع هو القضاء الذي يقوم بمهمة تطبيق الحدود والقصاص، وليس لآحاد الناس أن يقوموا بهذا حتى لا تتحول

الأمور إلى فوضي). وقال الغزالي إنه في حالة عدم معاقبة القانون على الردة فإنه يكون معيبا، وتكون هناك فوضي في المجتمع، وعندما سألته المحكمة هل يبقي حد الردة واجب التنفيذ في هذه الحالة؟ أجاب: نعم وحكم الله لا يلغيه أحد، وعندما سألته المحكمة: ماذا لو نفذ أحد الناس حكم الردة؟ أجاب: يكون مفتئتًا على السلطة، وعندما سألته المحكمة: هل هناك عقوبة للافتئات على السلطة في الإسلام؟ رد: لا اذكر أن لها عقوبة(171).

ورغم الطابع العمومي للأسئلة والأجوبة فإنها في المحصلة النهائية كانت شهادة براءة للقتلة، الذين شهد الغزالي بأن عليهم قتل المرتد حال تقاعس السلطة عن ذلك، وأن جريمتهم الحقيقية (الافتئات على السلطة) لا عقوبة عليها في الإسلام، ورغم أن شهادة المحكمة لم تسهم في تبرئة القتلة الثلاثة الذين حكم على اثنين منهما بالإعدام، وحكم على الثالث بالأشغال المؤبدة. فإنها سببت صدمة في أوساط المثقفين، وأحدثت شرخا في صورة الغزالي كداعية وسطي معتدل، وهي الصورة التي سرعان ما استعادها بعد ذلك بسبب عدم خضوع إنتاجه للدراسة والبحث.

وإلى جانب تكفيره للمفكرين المسلمين واتهامهم بالردة، خصص الغزالي جانبا كبيرا من مقالاته وخطبه للهجوم على المفكرين والكتاب المسيحيين، الذين اتهمهم بأنهم عملاء الغرب الصليبي والشرق الشيوعي، وشمل هجومه سلامة موسى ولويس عوض، وميشيل عفلق، وجورج حبش، وقسطنطين زريق.

وفضلا عن هؤلاء وهؤلاء فقد هاجم أحمد لطفي السيد، وطه حسين، وحسين أحمد أمين، ونزار قباني، وعبد الرحمن الشرقاوي.

هاجم الغزالي أيضًا طه حسين باعتباره رمزا للتنوير وللتفكير النقدي في التراث، وقال عنه: قرات الدكتور طه حسين، واستمعت له، ودار بيني وبينه حوار قصير، مرة، أو مرتين، فصد عني، وصددت عنه. ويمضي الغزالي ليقول: إنه يرى أن عباس محمود العقاد أعمق فكرا من طه حسين، وإن زكي مبارك أرشق منه عبارة، وإنه يرى أن الإصرار على جعل طه حسين عميدا للأدب العربي يعود إلى رغبة البعض في دعم المبادئ التي حملها الرجل و(كلف) بخدمتها طوال عمره، ويمضي في ذم طه حسين قائلا: وواضح أن الدكتور طه حسين كان ترجمة أمينة لأهداف لم تعد خافية على أحد، عندما طالب بإقصاء الإسلام، وأخلاقه، وأحكامه، وعدم قبوله أساسا تنطلق الأمة منه، وتحيا وفق شرائعه وشعائره، ويمضي قائلا: قائل هذا الكلام يجب أن يكون عميدا للأدب العربي.. إلخ، أما العقاد وإسلامياته فيجب دفنها معه.

ورغم الميول الإصلاحية للشيخ الغزالي، التي عبر عنها في عدد من مؤلفاته التي هاجم فيها طرق رواية الأحاديث النبوية، وطالب فيها بتطهير السنة، وحاول إنصاف المرأة المسلمة، فإن هذا لم يمس جوهر مشروعه القائم على المطالبة بدولة إسلامية، وفق تصور الإخوان المسلمين تحديدا، والاشتباك مع الأيديولوجيات الأخرى مثل الشيوعية، والقومية العربية، التي كان المناخ السياسي في مصر السبعينيات يتطلب الهجوم عليها أحيانا، أو يسمح به في أحيان أخرى، وعلى كل حال فالجفوة بين الغزالي والدولة المصرية، التي بدأت وفق رواية القرضاوي في عام 1978، واستدعت سفره للتدريس في السعودية عقب ما اعتبره تضييقا عليه(172) لم تطل، إذ سرعان ما تم اغتيال الرئيس السادات، وبدأ الرئيس مبارك حقبة جديدة، تقوم على التوازن في العلاقة مع الإسلاميين، وبدأ هدنة طويلة، سمحت للشيخ الغزالي أن يعود إلى المنبر مرة أخرى، وأن يواصل مهامه القيادية في وزارة الأوقاف المصرية، وقد ظل الرجل مخلصا لأفكاره التي بثها في المجتمع من خلال منبر الدعوة حتى صعدت روحه إلى بارئها في عام 1996.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هوامش الفصل الخامس

(169) نفس المصدر

(170) نفس المصدر

(171) اليوم السابع 22-6-2019/ذات يوم

(172) الغزالي كما عرفته / د. يوسف القرضاوي

الفصل السادس

إبراهيم عزت..
مربي الإرهابيين

بين دعاة السبعينيات، لم يكن الشيخ إبراهيم عزت (1939-1983) أشهر الدعاة، لكنه كان اكثرهم تأثيرًا على المنتمين للحركة الإسلامية، إن حياته غامضة، ولولا أنه توفي وهو في بداية الأربعينيات لكان له مع الشهرة شأن آخر.. إنه واحد من الدعاة المنتمين للإخوان المسلمين.. لم يكن في حياته ما يثير.. ولد لأسرة متوسطة في صعيد مصر، وكان والده مدرسًا للتعليم الصناعي، نزح إلى القاهرة، وفي كلية التجارة تعرف على الإخوان المسلمين، وقد اعتقل على ذمة قضية 1965 الشهيرة، وظل في السجن ثلاث سنوات من 1965 حتي (173)1968.

الغريب أنه رغم انتمائه للإخوان المسلمين التحق بوظيفة مذيع في اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وبالتحديد في إذاعة القرآن الكريم.. حيث قدم عددا من البرامج. كان أشهرها برنامج يحمل اسم (بيوت الله).. ولم تكن المحطة الثانية في حياته المهنية أقل غرابة، حيث التحق بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة وربما ظل موظفا فيه حتى وفاته(174).

وهو شاعر.. أثرت أشعاره في الشباب المنتمين للحركة الإسلامية، وتحولت بعض أشعاره إلى أناشيد تغنى بها كبار منشدي الحركة الإسلامية مثل أبي مازن، وقد كان للأناشيد الإسلامية دور كبير في الشحن المعنوي للشباب المنتمين للحركة الإسلامية في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي.. وقد سجلت قصائده تجربة المعتقل وتردده بين الصمود والانهيار.. وحالات الضعف التي كانت تعتريه.. واشتياقه لوالدته، والحقيقة أن المستوى الشعري لقصائده متميز، وهي على خلاف أشعار الإسلاميين لا تنتمي للقصيدة الكلاسيكية العمودية، لكن لقصيدة التفعيلة، وهو ما يدل على انفتاحه على قراءات أخرى غير القراءات الدينية.

والكتاب الذين أرخوا له من جماعة الإخوان يقولون إنه ترك الجماعة في عام 1963 وإنه عندما اعتقل على ذمتها لم يكن عضوًا فيها، لكن الحقيقة أن علاقته بالإخوان ظلت قائمة حتى وفاته، وأن الإخوان يعتبرونه واحدًا منهم، يستحق تكريمه، وتخليد سيرته.. هو لم يترك الجماعة إثر خلاف معلن، هو تركها فقط لينخرط في مهمة أخرى تبدو غامضة هي الأخرى.. إذ أسس الفرع المصري لجماعة التبليغ والدعوة.. في ظروف لا تزال تتسم بالغموض وعدم

الوضوح.. لقد ظهرت هذه الجماعة في الهند.. أسسها مسلم هندي هو محمد إلياس الكند هلويّ (1885 - 1944) عام 1926، إن سيرته هو الآخر تبدو غامضة، خالية من التفاصيل. إن هذه الجماعة أقرب ما تكون لجماعة صوفية، يتهمها السلفية بالابتداع.. إنها تقوم على الدعوة إلى الله.. حيث يهب أعضاء الجماعة بعض أوقاتهم لدعوة الآخرين للإسلام أو للصلاة ويسمون ذلك بالخروج في سبيل الله، حيث يهب العضو للدعوة ثلاثة أيام في كل شهر، وأربعين يوما في كل عام، وأربعة أشهر في العمر كله، يسافر خلالها إلى قري في نفس بلده، أو إلى بلاد أخرى فيها فروع للجماعة، في الخروج يقيم الأعضاء في مسجد يقبل أن يستضيفهم ومعهم أقل القليل، ويتقشفون في طعامهم، ولا يقبلون دعوات الطعام من أهالي البلدة التي ينزلونها، ويأكلون على نفقتهم.. وهم يخرجون في جولات يدعون فيها الناس على المقاهي وفي الشوارع للمسجد، وعندما يعودون يستمعون للدرس الذي يسمونه البيان، وهم لا يتحدثون في السياسة، ويستبدلون فريضة الجهاد بالخروج للدعوة(175). وقد انتشرت الجماعة بسرعة كبيرة حتى صارت لها فروع في معظم دول العالم، وقيل إن عدد أعضائها بلغ 80 مليون شخص، وكانت السعودية أول دولة عربية تدخلها الجماعة، رغم اعتراض علماء الوهابية عليها، ومن السعودية جاءت إلى مصر، ولا شك أن الجماعة جاءت إلى مصر بعد تولي الرئيس السادات السلطة، وسياسات تشجيع الإسلاميين، أسس إبراهيم عزت الجماعة وصار أول رئيس لها في ظروف غامضة لم يتم التأريخ لها، لكن الأكيد أنه أصبح شهيرا في أوساط شباب الإسلاميين في بداية السبعينيات، وكان أحد الدعاة الذين يحاضرون في مخيمات الجماعة الإسلامية عام 1973، وأنه انتقل من الخطابة في مسجد صغير في حي الدقي يدعي مسجد المدينة إلى مسجد كبير في حي المهندسين الراقي، هو مسجد انس بن مالك، الذي كان مسجدًا متعدد الطوابق(176)، وأن جمهوره كان من الطبقات الاجتماعية الأرقي التي عرفت طريقها للتدين في تلك الفترة، كما انتشرت جماعة التبليغ والدعوة انتشارًا كبيرًا حتى بلغ عدد أعضائها في مصر ربع مليون عضو.. لكن الأهم كان تأثير إبراهيم عزت في الحركة الإسلامية كلها، فقد كشفت التحقيقات في قضية اغتيال السادات، أنه كان على صلة بمحمد عبد السلام فرج، مؤسس التنظيم، وأنه قال له إنه لن يستطيع أن ينضم للجهاد رغم إيمانه بأفكاره، لكنهم يستطيعون تجنيد من يريدون من أعضاء جماعته أو على حد تعبيره (أنا أجيب الناس من الشارع للمسجد، والباقي عليكم).. التحقيقات كشفت أيضا أن عبود الزمر بدأ عضوا في التبليغ والدعوة قبل أن يعتنق أفكار الجهاد(177)، وأن خالد الإسلامبولي تأثر بخطبة سمعها له ذات مرة في زيارة له للمنيا(178)، ورغم أن خطبه لم تنتشر عبر الكاسيت مثل عبد الحميد كشك، ولا عبر التليفزيون، فإنه توجد تسجيلات متاحة له، وهي خطب عاطفية، تخاطب الوجدان، وتلهم الإحساس، وتستنهض

المسلمين ليعيدوا مجد الإسلام، وقد كان يبدأها بعبارة يا أحباب.. حتي عرفت جماعته بجماعة (الأحباب).. وهو بمعيار من المعايير أول الدعاة الجدد.. فلم يكن منتميًا للمؤسسة الأزهرية، وكان جمهوره من الطبقات الراقية، وكان يركز على الجانب الوجداني والرقائق، وهي كلها صفات توافرت في الدعاة الجدد الذين عرفتهم مصر في الثمانينيات والتسعينيات، وقد قال الداعية عمرو خالد إنه كان تلميذًا لإبراهيم عزت، وإنه تأثر به. وفي مذكراته يحكي رجل الأعمال أشرف السعد نجم توظيف الأموال عن إبراهيم عزت، إذا كان السعد عضوا في جماعة التبليغ والدعوة في نهاية السبعينيات، وهو يحكي كيف تحول بفضل تبني إبراهيم عزت له من صعلوك إلى ملياردير، حيث توسط له في البداية ليعمل مع محمد رضوان تاجر العملة الشهير، ثم عرفه إلى أحمد عبيد أحد قيادات الإخوان ونائب رئيس مجموعة شركات الشريف، الذي طلب منه أن يوفر للمجموعة مليون دولار شهريا من السوق السوداء لسداد احتياجات الاستيراد، وهو ما حوله من تاجر عملة صغير إلى تاجر كبير، وفتح أمامه آفاق الثراء، وهو يروي أن إبراهيم عزت نفسه كان يسهم في تجارة العملة بالمبالغ التي يستطيع اقتطاعها من دخله(179). لكن فترة الرواج والتأثير التي شهدها إبراهيم عزت سرعان ما انتهت باغتيال الرئيس السادات، إذ أدركت أجهزة الأمن أن خطأً قد وقع، فتم منعه من الخطابة، وقضى الفترة من 81 حتي 83 ممنوعًا من الخطابة، حتى توفي على متن باخرة متجهة لميناء جدة.. حيث كان يتجه للمدينة المنورة بنية العمرة والاعتكاف، وهي طريقة موت غامضة لا تقل غموضًا عن حياته القصيرة ولا عن الدور الذي أداه خلالها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هوامش الفصل السادس

(173) الشاعر الخطيب الذي حلت فيه روح الإمام الشهيد /الجزيرة نت/22-4-2020

(174) الوجه الآخر لآلهة العنف/البوابة نيوز /19-1-2016

(175) هل يطارد شبح الإرهاب جماعة التبليغ والدعوة؟ موقع حفريات

(176) الجزيرة نت /مصدر سابق

(177) موقع حفريات /مصدر سابق

(178) البوابة نيوز /مصدر سابق

(179) سلسلة حلقات أنا والإخوان /اشرف السعد /موقع يوتيوب

الفصل السابع

السيد سابق.. مفتي الدماء

لا شيء لافت للنظر في مسيرة السيد سابق (1915-2000) سوى أنه فقيه، وسوى أنه صديق محمد الغزالي، وسوى أنه أسهم في مفاوضات عودة الإخوان مع الرئيس السادات، وسوى أنه عرف في بداية حياته بأنه (مفتي الدماء).. فيما عدا ذلك لن تجد أنه خطيب مفوه، ولن تجد له خطبا محفوظة في ذاكرة الكاسيت أو التليفزيون.. وربما لن تجد أنه معروف لدى الأجيال الجديدة في مصر. بسبب سفره الطويل للسعودية من منتصف السبعينيات وحتى وفاته.

سيرته تقول، إنه تخرج في كلية الشريعة في الأزهر، وأنه في شبابه انضم لعضوية الجمعية الشرعية مع صديقيه خالد محمد خالد ومحمد الغزالي، وأنه غادرها مع الغزالي لينضما لعضوية الإخوان المسلمين، في الإخوان كان سيد سابق أقرب ما يكون إلى مفتي الجماعة، أو فقيهها، كان يلقي دروس الفقه في شعب الجماعة المختلفة، وكان يخصص درسًا خاصًّا للأخوات المسلمات، واستمع إليه حسن البنا ذات مرة، فطلب إليه أن يكتب ما يقول في كتاب فكتب الجزء الأول من كتابه الشهير (فقه السنة) وهو كتاب ارتبط باسمه، ووزع مئات الآلاف من النسخ، وظل موجودًا حتى اليوم(180).

كان السيد سابق على موعد مع الشهرة، حين اغتال عبد المجيد حسن، عضو الجماعة، النقراشي، كان النقراشي رئيسًا للوزراء، وأصدر قرارًا بحل الجماعة، فقرر الجهاز الخاص اغتياله، في التحقيقات قال عبد الرحمن السندي رئيس الجهاز الخاص إنهم حصلوا على فتوى تبيح اغتيال النقراشي.. وإن صاحب الفتوي هو السيد سابق.. القي القبض عليه.. لكن المحكمة برأته بعد أن أنكر التهمة.. خرج من السجن ليعود له مع أعضاء الجماعة الذين اعتقلوا في معتقل الطور(181).

كانت محطته الثانية مع الجماعة، عندما وقع الخلاف الشهير بين حسن الهضيبي ومجموعة المنشقين عام 1952، كان السيد سابق واحدا من المنشقين الذين تم فصلهم، وفي هذه المرة أيضا كان رفيقًا للشيخ الغزالي.. في كتابه (مواكب الدعوة) يقول الغزالي إنه كان يسير مع السيد سابق قرب مقر الإخوان في المنيل، وإنهما قابلا مجموعة من أعضاء الإخوان توعدوهما بالموت وأن ذلك كان دافعًا له على يكتب مهاجمًا الجماعة. أما السيد سابق نفسه فقال إنه ترك الجماعة بعد أن تأكد أنهم طلاب سلطة. وقد رويت قصة غير مؤكدة عن محاولة الجماعة اغتياله باستخدام علبة حلوى مفخخة، وقد

روى نجله أن مندوبا حمل علبة الحلوى للمنزل وأنهم اتصلوا بوالده الذي حذرهم من فتحها، واستدعى البوليس.. الذي اكتشف أن العلبة تحتوي قنبلة موقوتة(182)، وتبدو القصة استعارة من واقعة حقيقية، هي واقعة اغتيال السيد فايز، عضو الجهاز السري الذي ساند الهضيبى ضد رئيسه عبد الرحمن السندي، حيث أرسل له السندي علبة حلوى مفخخة، ولما كان السيد سابق من الجناح الذي انحاز للسندي، فإن القصة تبدو غير منطقية، أو محاولة لوصم الجناح الآخر بالإرهاب.

شكل السيد سابق والغزالي بعد خروجهما من الجماعة، ما يمكن تسميته بالجناح الديني لثورة يوليو، كانا يعملان تحت رئاسة أحمد حسن الباقوري، رئيسهما السابق في الجماعة، ووزير الأوقاف.. لكنهما كانا مؤثرين، وكانت لهما علاقات مباشرة بالضباط الأحرار.

وقد تولي السيد سابق إدارة الثقافة في وزارة الأوقاف، بينما تولي الغزالي إدارة المساجد والدعوة، وقد شكلا معًا لجنة تسمي "لجنة الدفاع عن الإسلام".. كان من بين ما قامت به؛ أنها أصدرت تقريرا يتهم رواية "أولاد حارتنا" بالخروج عن الإسلام، والإساءة للذات الإلهية، وكان من آثار التقرير عدم نشر الرواية داخل مصر حتى وفاة نجيب محفوظ(183).

دور سيد سابق والغزالي تعرض للتحجيم بعد رحيل أحمد حسن الباقوري من وزارة الأوقاف، وتولي الدكتور محمد البهي، حيث نقلا للأزهر، وهو ما يكشف عن أن أجهزة الثورة كانت على علم بميولهما الإخوانية وإنها كانت تستخدمهما في الوقت الذي تريده.

مع بداية السبعينيات وما قبلها كان السيد سابق على موعد مع السياسة مرة أخرى، إذ أسهم مع صديقه الغزالي في تأسيس الجماعة الدينية في الجامعة عام 1968، وعندما تأسست الجماعة الإسلامية واشتد عودها، كان سيد سابق أحد المسئولين الأساسيين عن تثقيف أعضائها، ونقل أفكار الإخوان إليهم.

وبحسب رواية نجله، فقد اجتمع والده مع الرئيس السادات وعمر التلمساني، وقال لهم إنه يريد إحياء جماعة الإخوان مرة أخرى، وبحسب روايته لنجله فإن الاجتماع لم يتكرر مرة أخرى وبدا أن الرئيس السادات غير مهتم.

لسبب ما قرر السيد سابق أن يترك مصر في منتصف السبعينيات معارًا لجامعة أم القرى في السعودية، حيث بقي هناك ما يقرب من عشرين عامًا.. عاد بعدها ليقضي خمس سنوات في وضع أقرب ما يكون إلى الاعتزال.. ليرحل بعد عمر مديد.. كانت فيه محطات متعددة.. بعضها لا يزال غامضًا حتى الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

هوامش الفصل السابع

(180) مجلة نصف الدنيا 22-5-2002

(181) سيرة الرواية المحرمة /محمد شعير /الطبعة الأولى /دار العين

(182) مجلة نصف الدنيا 30 مايو 2002

(183) نصف الدنيا /مصدر سابق

الفصل الثامن

الشيخ المحلاوي..

عدو الرئيس

لولا ما قاله الرئيس السادات عن الشيخ المحلاوي لما تذكره أحد، كان السادات يخطب خطابه الأخير في مجلس الشعب، وكان يحاول أن يقول للناس: لماذا أقدم على اعتقالات سبتمبر الشهيرة، كان الخطاب بشكل أو بآخر كشف حساب لعلاقته بالإسلاميين ولأحزاب المعارضة أيضا، كان يذكر ما اعتبره تجاوزات ارتكبوها في حقه، وفي حق الوطن، وفي حق قواعد اللعبة السياسية، التي وضعها، ولم ينتظر منهم أن يخرجوا عليها، وكانت المفاجأة أنه خصص جزءًا معتبرا من خطابه للشيخ المحلاوي، كان يقرأ تقارير أمنية وردت بها مقتطفات من خطب مختلفة للداعية السكندري.. كان ثمة شيء شخصي بررره السادات قائلا (بيتطاول علي وعلى أهلي بيتي).. ومضى السادات يذكر أمثلة مختلفة لما قاله المحلاوي، حتى وصل إلى نقطة الذروة الدرامية فقال (آهو مرمي في السجن زي الكلب(184)). وهي عبارة أدخلت الشيخ التاريخ من باب أنه الداعية الذي تحدي الرئيس، أو أغضب الرئيس.

والحقيقة أنه لا شيء لامع في حياة الشيخ المحلاوي (مواليد 1925) سوى هذه اللقطة المسرحية، وسوى السنوات القليلة من السبعينيات التي سمح فيها لدعاة التيار الإسلامي أن يقودوا الناس، وغيروا قناعاتهم، ويتحولوا إلى زعماء على المنابر.. قبلها كان كل شيء عاديًا.. المحلاوي نفسه واعظ عادي جدا في الأوقاف، لا يملك ألمعية مشاهير الدعاة.. لا عبقرية الشعراوي، ولا سخرية كشك، ولا عقل محمد الغزالي.. واعظ من أرياف كفر الشيخ قضي سنوات طويلة في مساجد الأرياف، حتى تم نقله إلى الإسكندرية في عام 1963، ليصبح إماما لمسجد سيدي جابر، ولا شك أنه كان يجمع بين صفة الداعية وصفة الناشط الاجتماعي، فهو يقول إنه بدأ نشاطا يهدف إلى في الشباب، فمارس التدريس في المدارس الأهلية، ثم نظم دروسا لطلاب الكليات في المسجد بالتعاون مع الأساتذة الإسلاميين، واجتذبت دروسه عددًا ممن صاروا قادة للإسلاميين في الإسكندرية مثل إبراهيم الزعفراني، ومحمد إسماعيل المقدم(185). وهو يتحدث في ذكرياته عن علاقات ما بمسئولين في الدولة، منها علاقته بالمهندس سيد مرعي صهر الرئيس ورئيس مجلس الشعب، ومنها علاقته بوزير العدل والمدعي العام الاشتراكي مصطفى أبو زيد فهمي.. فضلا عن علاقات بالقيادات المحلية والأمنية، وهو يقول إنه كان مؤيدا للرئيس السادات في البداية، ويصدر البيانات لتأييده باعتباره رئيس اتحاد

علماء الإسكندرية، لكن أول ظهور له على رادار الرئيس السادات كان في عام 1975 حين صدر قرار بنقله من مسجد سيدي جابر لمسجد آخر، وهو يقول إن السبب هو وشاية ضده بأنه أساء للسيدة جيهان السادات.. أو رفض إن تفتتح مشروعا تابعا لجمعية تديرها، أو تساءل عن كيفية حضورها للمسجد وهي متبرجة، وهو يقول إن ما تعرض له كان وشاية(186)، وإنه نسبت له مقولة قالها داعية سكندري آخر هو (محمود عيد) الذي وصف السيدة جيهان بـ(سيئة مصر الأولى) بدلا من اللقب الذي أطلقته عليها الصحافة وهو (سيدة مصر الأولى).. اللافت للنظر أنه إزاء تهمة مثل هذه فإن العقاب كان تافها، أو لعله لم يكن عقابا من الأساس بل ترقية، إن المحلاوي يقول إنه تم نقله لمسجد القائد إبراهيم، أهم مساجد الإسكندرية من حيث الموقع، و(سرة) وسط البلد هناك، وكان ذلك بفعل وساطات معينة! بعد الانتقال لمسجد القائد إبراهيم بدأت سنوات لمعان الشيخ المحلاوي، وهو يعتبر أن زيارة السادات إلى القدس كانت نقطة التحول في موقفه من السادات.

ما قاله السادات عن المحلاوي في خطبته الأخيرة أمام مجلس الشعب، يوحي بنوعية التحدي بينهما، أو بين الإسلاميين الذين يمثلهم المحلاوي وبين السادات. في خطابه في مجلس الشعب يوم خمسة سبتمبر 1981، يقول السادات (شيخ جامع في الإسكندرية، صنعته الهجوم والتهكم.. ليه؟ لأن أحزاب المعارضة تتصل به ويشجعونه على التهجم) ويضرب السادات أمثلة لما اعتبره تهجمًا عليه من المحلاوي في خطب جمعة مختلفة، فهو في إحدى الخطب يهاجم التسهيلات التي تمنحها مصر لأمريكا، ويعتبر أن مصر تستغيث من لص بلص آخر) وفي خطبة أخرى يهاجم حفل افتتاح تفريعة قناة السويس، ويقول إنه تكلف 10 ملايين جنيه، وإن هذا المبلغ كان يمكن أن يمول بناء 400 مسكن للشباب، ويعتبر السادات أن المحلاوي يتخذ من صفته كداعية وسيلة للتهييج السياسي والهروب من المسئولية أمام القضاء.

ويذكر السادات نموذجا آخر لدرس للمحلاوي قال فيه؛ إنه لا توجد سيادة قانون في مصر، لأن القانون لا يحترم، فهناك معتقلات، وتعذيب، وقتل من دون وجه حق، وإن المعتقلات لم تغلق كما يقال، وإنه على رئيس الجمهورية تقليم أظافر المسئولين في دولته، وعلى رأسهم أجهزة الشرطة).

وفي خطبة أخرى لم يختلف موقف المحلاوي عن موقف سائر الإسلاميين والإخوان من الثورة الإيرانية حيث (وجه التحية للخوميني وشعب إيران لما وصفه بإذلالهم أمريكا خلال أزمة الرهائن).

ويواصل الرئيس السادات سرد ما قاله المحلاوي أمام أعضاء مجلس الشعب، باليوم والتاريخ قائلا: (علشان نعرف الدعوة الإسلامية.. والدعاة.. والتسجيلات موجودة بصوته عند المدعي الاشتراكي، انتقد في 30 يناير

1981، الاجتماعات التي عقدها الرئيس في أسوان، لما تكلفته من نفقات باهظة، وأنه إذا كان الرئيس يصيف في الإسكندرية، ويشتي في أسوان، فمعني هذا أنه لا يعلم شيئا عن معاناة الشعب).

ويواصل (أما احتفالات الشرطة وما تكلفته من أموال باهظة فالمقصود منها أن يعرف الشعب ما سيحدث له إذا عارض السلطة).. ويذكر السادات أيضا نماذج أخرى لسخرية المحلاوي من إطلاق اسم قرية ميت أبو الكوم (مسقط رأس السادات) على إحدى قرى سيناء).

وعن خطبة أخرى في 2 - 6 - 81، يقرأ السادات تقريرا يقول (مهاجمة المسئولين لتزييفهم الانتخابات الطلابية الأخيرة بالجامعة، والتنديد برئيس الجامعة، ووصفه بأنه عدو للإسلام).. ثم يتحدث المحلاوي عن قناة السويس مرة أخرى فيقول للمصلين: إن التاريخ يعيد نفسه فالخديو إسماعيل استدان للإنفاق على حفل افتتاح قناة السويس، والحكومة الآن تستدين للإنفاق على حفل افتتاح تفريعة قناة السويس).. ويعلق المحلاوي على تصريح للرئيس السادات بأنه سيرهن أسهم قناة السويس قائلا: إن الرئيس سيرهن القناة وبترول البلاد، وإن ذلك سيؤدي إلى احتلال مصر).. ويشرح السادات للنواب أنه اطلق التصريح حول رهن أسهم القناة بالفعل كرد فعل على تعنت الدول العربية مع مصر، ورفضهم مساعدتها ماديا، وأن المحلاوي عالج الأمر بطريقة (لا تقربوا الصلاة).

ويروي السادات في خطابه واقعة حقيقية، وهي تحدي المحلاوي للقرار الذي صدر بمنعه من الخطابة، وذهابه للمسجد محمولا على أعناق الإخوان المسلمين وأعضاء الجماعات المختلفة وصعوده للمنبر متحديا سلطة الدولة، وهتاف المصلين باسمه.. ويروي السادات كيف أن هذا أدي لإلقاء القبض عليه، وأن الإخوان هم الذين حرضوه على تحدي الدولة، ثم ادعوا أن الدولة تضطهد الدعاة بعد القبض عليه.

ويواصل الرئيس السادات سرد ما قاله المحلاوي من آراء ضده وضد نظامه، (الحزب الوطني هو أساس البلاء، وحرية المواطنين مقيدة بقانون الأحزاب، واستراحة الرئيس في أسوان ممنوع الاقتراب منها على المصريين ومسموح للأجانب، ويدافع السادات عن نفسه قائلا: إن استراحته هي إحدى استراحات مهندسي الري في أسوان، وإنها بسيطة للغاية، وإن سلفه الرئيس عبد الناصر هو الذي خصصها للرئاسة.. ويعتبر السادات أن ما يقوله المحلاوي هدفه شحن الشباب صغير السن ضده، وضد نظامه.. ويواصل السادات قائلا: إن المحلاوي هاجم وزير الصحة، ووزير التعليم، وقال إن مناهج التربية والتعليم تزور الحقيقة، وينتقل السادات لرصد هجوم المحلاوي على معاهدة كامب ديفيد قائلا: (وبعدين يهاجم المعاهدة ويقول إن سيناء بعد الجلاء عنها

بالمعاهدة تعتبر في حكم المحتلة لأنها ستكون منزوعة السلاح، وإن ذلك من البنود السرية للمعاهدة، وإن الرئيس ادعى عدم وجود بنود سرية في المعاهدة لضمان الحصول على موافقة الشعب).. ويصف السادات ما يقوله المحلاوي منفعلا بأنه كذب وإجرام وسفالة، ويستنكر أن يقف عالم معمم ينتمي للأزهر ليقول للناس إن هناك بنودًا سرية في كامب ديفيد.. رغم أنها غير موجودة، ويضيف أن هدف المحلاوي هو شحن عقول الشباب الصغير ضد الدولة، وإنه سافر إلى محافظات مختلفة داخل مصر وخطب فيها، دون أن يتعرض له احد، ومع ذلك واصل التحريض ضد كامب ديفيد، وقال إن هناك بنودا في المعاهدة تمنع مصر بمقتضاها من قيام أي تنظيمات مناهضة لإسرائيل، وأنه لو كانت هناك حرية في مصر لقلنا للرئيس السادات اترك الحكم، وقدم استقالتك.

ويتحدث السادات عن سخرية المحلاوي من خبر نشرته الجرائد يقول: إن المحكمة الدستورية ستقوم بفحص إقرارات الذمة المالية للرئيس وعدد آخر من المسئولين.. حيث علق المحلاوي مشككا في الخبر، واعتبره استخفافًا بعقول الشعب. في حين أن الإقرارات تم تسليمها بالفعل لرئيس المحكمة الدستورية.

في خطبة أخرى هاجم المحلاوي قرار الرئيس السادات بالإفراج عن على صبري، وسامي شرف المتهمين في قضية مراكز القوى، ويقارنهما بالمتهمين في قضية الفنية العسكرية، ويقول إن الدولة اعدمت المتهمين في قضية الفنية العسكرية لأن لها موقف من المسلمين، ويطالب بإصدار عفو مماثل عن المتهمين في قضية الفنية العسكرية.. وبعد أن روى السادات ما قاله المحلاوي قال.. يطالب بالإفراج عن المتهمين الذين قتلوا خمسة عساكر، وهذا طبعا بوحي من الجماعات الإسلامية الذين يقولون له قل ولا تخف وسنبقيك على المنبر، ولن تستطيع الحكومة أن توقفك، ووصل السادات إلى قمة انفعاله قائلا: (آهو مرمي في السجن زي الكلب)،.. بعد الوصول إلى ذروة الانفعال، واصل السادات سرد مخالفات المحلاوي التي أدت لاعتقال حيث قال إنه كان يهاجم شيخ الأزهر، ويحاول تأسيس نقابة للأئمة، وإنه يقول للناس إن الرئيس مخصص له 35 استراحة، ورد السادات على موضوع الاستراحات قائلا: إنها ليست 35 فقط، وإن عدد الاستراحات الرئاسية أكثر من مائة، وانه لم يبن أي استراحة خلال سنوات حكمه.. وقال السادات: إن المحلاوي يطالب برحيله كما رحل شاه ايران.

وانتقل إلى هجوم المحلاوي على المسيحيين قائلا: إنه ادعي وجود مخطط من الكنيسة لإثارة المسيحيين عقب مقتل مسيحي في حي (محرم بك)، وقال إن المحلاوي والجماعات الإسلامية يهاجمون الحزب الوطني الذي

يرأسه ويشوهون صورته، وقال السادات: إنهم يحاولون التغرير بالشباب الصغير، وإن الإخوان ينفون علاقتهم بجماعة التكفير والهجرة وسائر الجماعات الأخرى، في حين أن جميعهم واحد.. واتهم المحلاوي بإشعال الفتنة الطائفية، وقلب حقائق ما حدث في الزاوية الحمراء، والادعاء بأن الأسلحة سحبت من المسلمين وتركت في يد المسيحيين.

أما بالنسبة للإسلاميين فقد اتهم المحلاوي الدولة بأنها تحارب الإسلام فقط، وتقوم بإيذاء علماء المسلمين في حياتهم ووظائفهم، فضلا عن استضافته لقيادات الأحزاب المعارضة، والجماعات الدينية في مسجده للهجوم على النظام. وكرر السادات ما رواه عن تحدي المحلاوي لقرار منعه من الخطابة، وإصراره على الصعود على المنبر بحجة حقن الدماء، وحتى لا تنشب معركة بين المؤيدين له، ورجال الأمن.. وقال السادات: إنه يسرد كل هذه الوقائع لأن اعتقال المحلاوي هو الذي أدي لتصاعد الأمور بشكل قاد إلى نقطة قرارات التحفظ على 1500 شخص، لأنه اكتشف وجود جبهة بين المحلاوي وداعية آخر لم يسمه واكتفي بأن وصفه بـ(بإمام مسجد السلام) الذي وصفه بأنه لا يقل بذاءة.. ويستضيف الحاقدين، وبالتالي تصاعدت الأحداث).

قصة المحلاوي تبدو مثيرة في بعض جوانبها وكاشفة لبعض حقائق الوضع الداخلي قبل أسابيع من اغتيال الرئيس السادات، وهو يروي أن إيقافه تم على مراحل حيث أبلغ بإيقافه عن الخطابة في 15 يوليو 81، وقبل صدور قرارات سبتمبر بشهر ونصف الشهر تقريبا، في نفس الوقت كان قد ابلغ بالتحقيق معه أمام المدعي الاشتراكي وحملت قضيته القضية رقم 1 أمام محكمة العيب، وهو يروي أنه عندما صدر قرار إيقافه عن العمل اجتمع في بيته ممثلون للإخوان والسلفيين وجميع الجماعات الدينية واتخذوا قرارا بتحدي قرار الإيقاف!.. وهو يروي أن رئيس جهاز أمن الدولة في الإسكندرية رجاه ألا يذهب للمسجد وأخبره أن قرار إيقافه قادم من رئاسة الجمهورية ومع ذلك اتخذ قراره بالذهاب، صعد المحلاوي إلى المنبر بالفعل وسط هتافات أنصاره، وتم إنزال الخطيب البديل له الذي أرسلته الأوقاف، كان اليوم هو يوم عيد الفطر وخطب المحلاوي متحديا الرئيس شخصيًا، وهو يصف ما فعله ويقول (تحديت الرئيس شخصيا كما لو كان شخصا أقل من العادي، وليس رئيس دولة! وقلت إنه لا يستطيع أن يحرمني من قضاء العيد وسط أولادي لأنهم أفضل من أولاده! وقال إنه في الماضي كان يبحث عن من يتوسط بينه وبين السادات، لكنه في هذه المرة مستغنٍ عن هذه الوساطة)، بعد مرور كل هذه السنوات يعتبر المحلاوي أنه كان (مجنونا) خصوصًا أنه قال للمصلين: لماذا لا يفعل مع البابا شنودة مثل ما يفعل معي؟ لم يتم القبض عليه مباشرة ثم صدر قرار اعتقال له نفذته قوات الأمن وظل في السجن حتى أفرج عنه بعد اغتيال الرئيس السادات.

اختفت سنوات السبعينيات بذلك الوهج الذي كانت تمنحه للدعاة المنتمين للإخوان المسلمين، لم يكن دور المحلاوي فقط هو الهجوم على الرئيس السادات بعد كامب ديفيد، ففي السنوات الأولى من السبعينيات كان دوره هو الهجوم على جمال عبد الناصر، (في البداية كانت علاقتي بالسادات جيدة وكنت ضد عبد الناصر، كنت أكرهه بسبب ضرباته للتيار الإسلامي وإلغائه لهيئة علماء الأزهر، والمحاكم الشرعية(187)).

أدى المحلاوي دوره في تربية كوادر مخلصة للتيار الإسلامي وانقلب على الرئيس السادات، والتزم الصمت في عهد مبارك، ظل المحلاوي صامتا ثلاثين عاما تقريبا ثم عاد للخطابة عقب قيام ثورة يناير، كان آخر حدث ساخن مرتبط باسمه هو حصاره هو وأنصاره في مسجد القائد إبراهيم في 2013، عقب مؤتمر لتأييد الإخوان المسلمين والإعلان الدستوري لمحمد مرسي.. عاد الشيخ المحلاوي مرة أخرى إلى الظل ليبقي إحدى علامات الاستفهام الغامضة في هذا الملف المشبع بالغموض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هوامش الفصل الثامن

(184) خطاب الرئيس السادات في مجلس الشعب /5-9-1981/موقع يوتيوب

(185) الشيخ المحلاوي الذي وصفه السادات بالكلب يخرج عن صمته 2/ المصري اليوم/8-5.

(186) المصري اليوم /مصدر سابق

(187) الشيخ المحلاوي يخرج عن صمته 3/المصري اليوم /8-5-2008

الفصل التاسع
أوان النهايات

كان عام 1981، هو أوان الفراق بين الرئيس السادات وبين الإسلاميين في مصر. في أكتوبر من نفس العام نفذ أربعة أعضاء في تنظيم الجهاد عملية اغتيال الرئيس، لم يكن الجهاد سوى فرع راديكالي من جماعة الإخوان المسلمين، وكان اجتهاده الفكري لا يخرج عن نظرية الحاكمية التي صاغها سيد قطب، مفكر الجماعة، ومنظرها الأول.. قبل الاغتيال بقليل ادرك الرئيس السادات أنه أخطأ، وعبر عن ندمه على إخراج الجماعة من السجون، لكنه بكل تأكيد لم يكن يدرك الحجم الحقيقي لعداء الجماعة له، وما سينتج عن هذا العداء... الطريقة التي عبر بها عن انزعاجه من الجماعة كانت تدور في فلك فكرة (كبير العائلة) وهو وصف أطلقه السادات على نفسه أو أطلقته عليه الصحف المؤيدة له.

بعد زيارته للقدس، وعقده لمعاهدة كامب ديفيد، وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، واستضافته للشاه، اتسعت شقة الخلاف بين الإسلاميين وبين السادات، وانعكس هذا على أداء الدعاة المنتمين للجماعة، أو الموالين لأفكارها.. وانعكس أيضا على سلوك الطلاب التابعين لها في الجامعات.. كان السادات رومانسيًا للغاية في علاقته بالجماعة ولم يدرك حجم ما هو مقبل عليه، كانت أول مرة يعبر فيها عن انزعاجه من الإخوان في ملتقى الفكر الإسلامي بالإسماعلية في شهر رمضان عام 1979، كان الملتقى يضم علماءَ وشخصيات إسلامية، وكان عمر التلمساني مدعوًّا بصفته، وفي الملتقى وجه السادات حديثه لعمر التلمساني واتهم الإخوان بالعمالة والتخريب، وإشعال الفتنة الطائفية، وإثارة الطلبة، لكن عمر التلمساني رد الصفعة، وقال له: لو قال غيرك هذا الكلام لشكوته إليك، أما وقد قلته أنت فليس أمامي إلا أن أشكوك إلى الله.. ليرتبك السادات، ويتراجع ويخاطب التلمساني قائلا: لا تشكوني إلى الله يا شيخ عمر.. لا تشكوني إلى الله.. اسحب شكواك يا شيخ عمر.. وهكذا لم يسفر ضيق السادات بالإخوان في عام 1979 عن شيء، بل إنه تراجع عن اتهامه لهم أمام الجميع.

استدعي الأمر عامين حتى يتخذ السادات قراره المتأخر بمواجهة الإخوان، وقف في مجلس الشعب في خطبته الأخيرة، يوم 1981-9-5، ليعلن عن ضيقه بالإخوان، ويذكر مبررات اعتقال بعض قادتهم ضمن قوائم الاعتقالات الشهيرة، كان السادات يتهم الإخوان بمخالفة قواعد اللعبة التي اتفق عليها معهم، وأخرجهم بمقتضاها من السجون، وكانت الاستشهادات التي قدمها في خطابه تفيد بأن الإخوان يحاولون الطعن في شرعية النظام، وفي ثورة يوليو

التي كان يستند إلى شرعيتها. في خطابه تحدث السادات عن أحداث الفتنة الطائفية في الزاوية الحمرا، وكيف امتدت الأخبار الكاذبة بطول القاهرة وعرضها، ويستعرض اجتماعًا للجمعيات الدينية في مسجد النور بالعباسية تنادى فيه أصحابه للفتنة واعلنوا أن المسلمين في خطر، وأنه على بعد أمتار قليلة في كاتدرائية الأقباط، كان يحدث نفس الشيء، وهو ما دعاه إلى طلب ملفات وتقارير أمنية من وزير داخليته، وعكوفه على دراستها أياما طويلة، قبل أن يخرج بالحقائق التي صارح بها أعضاء مجلس الشعب.. كان السادات يتحدث بطريقة رب العائلة.. وقال إنه كان ينوي أن يعين عمر التلمساني عضوا في مجلس الشوري، الذي يضم أعضاء من الأقباط، على أساس أن ذلك سيوجد فرصة للحوار، وعلى أساس أن مجلس الشوري -وفق تعريف السادات له -هو مجلس العائلة المصرية.

وقال السادات إنه لا فارق بين الإخوان والجماعات الإسلامية وإنهما واحد وتحدث السادات عن حديثه للتلمساني في ملتقى الفكر الإسلامي وأنه عاتبه على ما نشرته مجلة الدعوة حول طلب أمريكا من رئيس الوزراء، ممدوح سالم ضرب الجماعات الإسلامية بحجة أنها خطر على النظام في مصر!، وقال السادات إنه عاتب التلمساني لأن مصر لا تتلقي تعليمات من أحد، ولا تقبل ذلك.

وقال السادات إن مجلة الدعوة غير شرعية، وإن جمعية الإخوان نفسها غير شرعية، وإنه وافق على صدور الدعوة بروح العائلة المصرية.. حيث سمح للتلمساني بإصدارها لحين استيفاء الأوراق وإنه اشترط عليه وقتها أن لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين. واستعرض السادات بعض ما نشرته مجلة الدعوة ضد كامب ديفيد، منه مقال قال إنه يستعدي الأنظمة العربية ضده ويطالبهم بالتحرك لإسقاط كامب ديفيد، ويستعرض مقالا آخر يقول كاتبه إن الإخوان يرفضون فصل الدين عن السياسة.

وقال السادات إنه عندما تولى الحكم أفرج عن جميع الإخوان من السجون، وإنه أعادهم إلى وظائفهم، وصرف لهم رواتبهم، وإنه اعتقد أن خلافهم مع ثورة يوليو قد انتهى، لكنه اكتشف أنهم استعاروا أسلوب التقية من الفكر الشيعي، الذي يعلنون بمقتضاه غير ما يبطنون، واتهم السادات الإخوان بأنهم خدعوه في الوقت الذي كانوا، ينسقون فيه الجهود مع الجماعات الإسلامية ليوم معهود!

وواصل السادات استعراض موضوعات مجلة الدعوة التي اعتبرها موجهة ضده، وقال إن المجلة نشرت صورة له في كامب ديفيد مع الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء الإسرائيلي مع تعليق يقول: إن كامب ديفيد أخرجت مصر من

ساحة الجهاد. وقال السادات إن المجلة تكرر ما تقوله الدول الأعضاء في جبهة الرفض وما يقوله قادة الثورة الإيرانية.

وانتقل السادات لمقال آخر يقول كاتبه: إن ثورة يوليو انقلاب عسكري صنعته أمريكا، وإن هذا الانقلاب جاء بالنموذج الكامل لشخصية الحاكم العميل، وقال إن المجلة تقصد جمال عبد الناصر، وأضاف السادات أنهم لا يقصدون عبد الناصر فقط، حيث كان هو من أذاع بيان الثورة، وأنه شريك فيها، وقال السادات إن عبد الناصر اتصل بمرشد الإخوان حسن الهضيبي وطلب منه أن يشارك الإخوان في الثورة لكنهم جبنوا وخافوا، وقال السادات إنه لن يسمح بالتطاول على ثورة يوليو وإن التطاول والتهكم من الذين يدعون أنهم حملة الإسلام لن يسمح به. وإن الإسلاميين وغيرهم في جبهة واحدة ضده، واستعرض نماذج لما نشرته جريدة الشعب لسان حال حزب العمل، وقال إن الحزب به أعضاء من الإخوان، وان الجميع جبهة واحدة، وهاجم الدعاة وذكر نماذج مما يقوله الداعية السكندري أحمد المحلاوي، وأشار للشيخ السلفي حافظ سلامة واصفا إياه بـ(المجنون بتاع السويس).. وقال إن هؤلاء ليسوا دعاة إسلاميين ولكن دعاة فتنة، وقال إن تنظيم الفنية العسكرية كان يضم الكثير من الدعاة، واستعرض التنظيمات التي تم القبض عليها مثل تنظيم يحيي هاشم وكيل نيابة الإسكندرية، وتنظيم آخر قام لكي يساعد المتهمين في قضية الفنية العسكرية، وإجبار السلطات على الإفراج عنهم، والقضاء على النظام القائم، وإعلان الخلافة الإسلامية، وتحدث السادات عن تنظيم جديد يدعي تنظيم الجهاد، أسسه أحد المفرج عنهم في قضية الفنية العسكرية وهو محمد حسن الهلاوي، وقال إنه لم يخطر النواب بهذا رسميا ولكن تم التعامل أمنيا مع هذه التنظيمات.

وتحدث السادات عن جماعة التكفير والهجرة، وقال إن أخطر ما في هذه التنظيمات هو المفاهيم التي تضعها في عقول الشباب وخاصة فكر الحاكمية والإيمان بضرورة الصدام مع السلطة الكافرة، والمجتمع الكافر، وقال إن الإخوان المسلمين هم من وضعوا بذرة هذه الأفكار.

وقال إن من بين مفاهيم الجماعات أيضا وجوب مبايعة أمير الجماعة والالتزام بمبدأ السمع والطاعة في جميع الظروف، والالتزام بتفسيره للقرآن والسنة، وقال إن حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين هو من وضع هذه البذرة، وقال إنه معاصر لحسن البنا منذ أيام التنظيم السري، وإنه عمل معه ضد الملك، والإنجليز، والأحزاب، لكنه لم يعمل ضد مصر.. وقال السادات إن الجماعات تحرم الولاء للدولة لأنها كافرة، وتحرم العمل في مؤسساتها، وتحرم الصلاة خلف الأئمة التابعين لها وتحرم التقاضي أمام المحاكم، وتحرم التعليم، والملكية الخاصة وعمل المرأة، ومشاهدة التليفزيون، وتحدث عن حالات

كانت قد تضمنتها التحقيقات في قضية التنظيم والهجرة لفتيات هجرن بيوتهن وتزوجن من أعضاء في الجماعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..

إهداءٌ خاص

مقدمة..

الفصل الأول
حدث في السبعينيات

هوامش الفصل الأول

الرئيس المؤمن

الهوامش

2 - الصراع والصفقة

الهوامش

رجل الإخوان في حديقة السادات

الهوامش

في الجامعة.. التنافس في خدمة النظام

الهوامش

من هنا عاد الإخوان

الهوامش

من زرع حصد

الهوامش

إن الحكم إلا لله

الهوامش

الصفقة مع السادات

الهوامش

سلفيون في كل مكان

الهوامش

الفصل الثاني
الشيخ الشعراوي..

أول الدعاة الجدد
هوامش الفصل الثاني
هـو والإخـوان
الهوامش
لا يجب أن نتغير.. نحن أفضل من الغرب
الهوامش
النساء في البيت أفضل
الهوامش
الموقف من المسيحيين
الهوامش
هـو والسياسـة
الهوامش
العداء لثورة يوليو
الهوامش
هو والسادات
الهوامش
هو ومبارك
الهوامش
توظيف الأمــوال
الهوامش
محجبات في رحاب الشيخ
الهوامش
معركة مع المثقفين
الهوامش
عــودة إلى الساحــة
هوامش الفصل الثاني
الفصل الثالث

الشيخ كشك..
صوت الغضب الموجه
صوت الغضب الموجه
صوت الإخوان
كل أعداء السادات
شبح الفتنة الطائفية
رجل المعارك
معركة مع مصطفى محمود
إيقـاظ الأمــة
سنوات الصمت
الفصل الرابع
عبد الحليم محمود..
شيخ الأزهر الغامض
هوامش الفصل الرابع
الفصل الخامس
الشيخ محمد الغزالي..
راعي الإخوان
تلميذ الإمــام
المعركة مع صلاح جاهين
رياح السبعينيات
هوامش الفصل الخامس
الفصل السادس
إبراهيم عزت..
مربي الإرهابيين
هوامش الفصل السادس
الفصل السابع
السيد سابق.. مفتي الدماء
هوامش الفصل السابع
الفصل الثامن
الشيخ المحلاوي..
عدو الرئيس
هوامش الفصل الثامن

الفصل التاسع
أوان النهايات
الفهرس..